

المجلد الاول	تونس في شوال عام ١٣٥٥ وفي ديسمبر عام ١٩٣٦	الجزء الرابع

شهرية وسنتها عشرة اشهر

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع حموده باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد الهادي ابن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٠٧-٣٧

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء فرنكان

بمناسبة عيد الفطر المبارك ابرزنا هذا العدد بحجم اكبر من المعتاد

فهرس العدد

الجزء الرابع — المجلد الاول

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة فرنكات ٢٠
« بلاد شمال افريقيا « ٣٠
« في الخارج « ٤٠
يخصم الربع للتلامذة

وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لا تكون الا معه



المجلد الاول	تونس في شوال عام ١٣٥٥ وفي ديسمبر عام ١٩٣٦	الجزء الرابع

شهرية وسنتها عشرة اشهر

تهنئة بالعيد

نتقدم بالتهنئة الخالصة بهذا العيد المبارك للسدة الشامخة العلية صاحب العرش الحسيني امير القطر سيدنا ومولانا احمد باشا باي والامراء رفعاء الشان من سلالة الامير حسين ووزراء دولته العظام وكافة ملوك الاسلام وعموم المسلمين في جميع بقاع الارض وندعو الله مخلصين ان يعم المسلمين بالهناء الشامل ويجدد هذا العيد بالسعد الكامل ويعقد الامل بالنجاح . ويصل الهمم بالعزيمة الصادقة والفلاح ويرفع عن الامة ما لحقها من الهوان . ويرشد شيوخها والكهول والشباب للتعاون على ما فيه سعادة الاسلام انه سميع مجيب .

محمد الشاذلي بن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الاعيـــاد

حكمة الاعياد ومغزاها – الاعياد السياسية وما لها من اثر في النهوض بالامم –

الاعيـــاد الاسـلامية الدينية

بقلم رئيس التحرير

لكل امة ايام تتخذها اعيادا فتظهر فيها بمظاهر الفـرح والسرور والابتهـاج • وتستريح فيها من عناء الاعمال الشاقة • والاشغال اليومية المتعبـة للافكار • والمنهكة للقوى • فتستعيد بتلك الاعياد نشاطها • وتستانف العمل من جديد • بقوة وعزيمة من حديد

والاعياد • اما دينية او سياسية • فالاعياد الدينية تحيي المشاعر • ويتذكر بها الناس ما بسطه الله عليهم من النعم الوافرة • وما وفقهم اليه من القيام باعباء ما كلفوا به على احسن وجه • فتكون تلك الاعياد ابلغ مظهر من مظاهر شكر الله على انعامه

والاعياد السياسية تذكي الشعور وتبعثه من مرقده • لانها ذكريات تقيمها الامـم لتخليد ما لها من ايام غرر • وما لرجالها من مواقف صادقة • وعـزائم صارمة • فتنبعث بتلك الاعياد العزائم الخاملة • والنفوس الهامدة • ويسعى الخلف لادراك شـاو السلف • وما الاعياد السياسية الا اعتراف من الامم بالجميل لابطالهـا الذين افنوا انفسهـم واموالهم في سبيلها • واقرار بالفضل لمن قدمـوا مصلحة العامة على مصلحـة النفس • وءاثروا مصلحة الوطن على مصلحة الذات • وبذلك تنبعث الهمم من مرقدها • ويسعى كل واحد من الامة لعمل ما يقدر عليه لصالحها • لان النفوس مجبـولة على حب الثناء والاعتراف بالفضل • فاذا رأى الناس ان عمل السابقين لم يذهب سـدى ولم تعبث به

يد النسيان • شمروا عن ساعد الجد • وواصلوا العمل لاصلاح اممهم وابلاغها من الرقي والتقدم الى اقصى حد

ولقد بالغ الغربيون في زماننا هذا في اكرام الابطال من رجالهم وتمجيدهم والتنويه بشانهم ـ ونعم ما صنعوا ـ حتى صارت ايامهم كلها ذكريات • ولم يقتصروا على مجرد الاحتفالات • ووضع الكتب في حياة الافراد بل زادوا على ذلك فوضعوا ذكريات مجسمة بان نصبوا التماثيل في طرقاتهم وساحاتهم لكل من له من الامة يد عليها سواء في العلم او الادب او الطب او الاكتشاف او غيرها

ونحن معاشر العرب قد فرطنا في ذلك تفريطا فاحشا • فجهلنا اسماء عظمائنا فضلا عن تاريخهم واحياء ذكرهم ـ ونحن وان كان تخليد الاشخاص عندنا لا يجوز بنصب التماثيل • لكن لنا وسائل كثيرة يمكن لنا بها تخليد عظمائنا الذين نسيناهم فجهلهم الناس وغفلنا عنهم فانكرت فضلنا الامم •

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة ... على الحر من وقع الحسام المهند

على اننا احوج الى الذكريات منهم • فهم يتذكرون قدماءهم ولهم من مجدهم الحاضر ما يبهر الانظار • ويغني عن التذكار • ونحن قد نسينا قدماءنا • ومجدنا في اضمحلال ومصيرنا الى زوال • مع انه قد كانت لنا ايام غرر محجلات • ورجال ابطال عظام ومجد تصاعد حتى تجاوز السماكين واعتلى على الفرقدين •

وايامنا مشهورة في عدونا ... لها غرر معروفة وحجول
واسيافنا في كل شرق ومغرب ... بها من قراع الدارعين فلول
معودة ان لا تسل نصالها ... فتغمد حتى يستباح قبيل
وانا اناس لا نرى القتل سبة ... اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت • آجالنا لنا ... وتكرهه آجالهم فتطول
وما مات منا سيد في فراشه ... ولا طل منا حيث كان قتيل
وننكر ان شئنا على الناس قولهم ... ولا ينكرون القول حين نقول
اذا مات منا سيد قام سيد ... قؤول لما قال الكرام فعول

تلك هي ايامنا ورجالنا ومجدنا فنسينا ذلك كله • وكان حتما علينا ان نجعله نصب اعيننا • حتى تكون لنا بتلك المقارنه والمقايسة عبرة تبعث فينا العمل على استعادة ذلك المجد الغابر • والنهوض من كبوة هذا الحظ العاثر •

تلك هي الاعياد وما فيها من مغزى • فاعتبر بها ايها القارئ النبيه • ولا تظننها مجرد ايام تنقضي في اللهو والسرور وتكثير الزيارات • وتبادل الجمل الباليات الميتات •

ونريد ان نرجع بك بعد هذا الى الحديث عن الاعياد الاسلامية التي لها صبغة دينية وما فيها من الحكمة البالغة فنقول

ان شريعة الاسلام تنطوي في كل ما جاءت به على حكم سامية • واغراض عالية فهي شريعة جد وعمل • لا تخلو كل جزئية مما اشتملت عليه من عبرة لمن يعتبر • وموعظة لمن لم يطبع الله على قلبه بطابع الكفر والفسوق والعصيان

وليس المقام مقام ان نحدثك عن تفصيل ذلك • فلذلك فرص اخرى لا يزال في الوقت متسع بحول الله لبسطها والتوسع فيها • وانما نريد ان نقتصر الآن على بيان اصول الاعياد في الاسلام

للمسلمين عيد اسبوعي • وثلاثة اعياد سنوية • فالعيد الاسبوعي هو يوم الجمعة • والاعياد السنوية هي يوم عيد الفطر ويوم عيد الاضحى ويوم عاشوراء

يوم الجمعة

هو يوم مبارك قد ادخره الله لهذه الامة الاسلامية ليكون عيدها الاسبوعي . فاتخذت الامم السابقة علينا عيدها الاسبوعي في غيره وضلت عنه . فاتخذ اليهود عيدهم في يوم السبت واتخذ النصارى عيدهم في يوم الاحد . وبقي هذا اليوم المبارك عيدا للامة الاسلامية اكراما من الله لها حسبما يصرح بذلك الحديث المروي في صحيح البخاري وصحيح مسلم بروايات مختلفة نقتصر منها على روايتين من لفظ الثاني فالاولى (عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون

الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق فهذا - اي يوم الجمعة - يومهم الذي اختلفوا فيه هدانا الله له فاليوم لنا وغدا لليهود وبعد غد للنصارى) والثانية (اخبرنا معمر عن همام بن منبه اخي وهب بن منبه قال هذا ماحدثنا ابو هريرة عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد انهم اوتوا الكتاب من قبلنا واوتيناه من بعدهم ٠ وهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له فهم لنا فيه تبع فاليهود غدا والنصارى بعد غد)

واهم ما امتاز به يوم الجمعة عن بقية الايام الساعة التي يستجاب فيها الدعاء ٠ وقد رويت في ذلك احاديث كثيرة في صحيحي البخاري ومسلم منها بلفظ الثاني (عن ابي هريرة عن النبيء صلى الله عليه وسلم انه قال ان في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيرا الا اعطاه قال وهي ساعة خفيفة)

وقد اختلف السلف رضي الله عنهم في تعيين هذه الساعة والاصح المعتمد انها حصة تكون ما بين جلوس الامام على المنبر الى انقضاء الصلاة يؤيد ذلك ما اخرجه مسلم ايضا (عن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري قال قال لي عبد الله بن عمر اسمعت اباك يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في شان ساعة الجمعة قال قلت نعم سمعته يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هي ما بين ان يجلس الامام الى ان تقضى الصلاة)

ويظهر لي والله أعلم انه لا مجال للاختلاف في تعيينها بعد ثبوت هذا الحديث اللهم الا ان تكون قد قامت ادلة اخرى لمن خالف في ذلك هي في نظره اقوى من هذا الحديث ٠

واصرح حديث في فضل يوم الجمعة ما رواه مسلم رضي الله عنه عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه ادخل الجنة وفيه اخرج منها ولا تقوم الساعة الا في يوم الجمعة ٠

وقد فرض الله على عباده في هذا اليوم صلاة الجمعة وحثهم على الظهور بمظهر

الفرح والسرور حتى تكون حالتهم ناطقة بشكر الله وتقدير ما انعم به عليهم بتخصيصهم بهذا اليوم العظيم • فهذا هو يوم الجمعة وهذه اسراره التي اودعها الله فيه •

عيد الفطر وعيد الاضحى

الاصل في هـذين العيدين حـديث أنس بن مالك رضي الله عنه الذي أخرجه النساءي وابن حبان قال (قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينةوهم يومـان في كل سنة يلعبون فيهما . فقال صلى الله عليه وسلم : قد ابدلكم الله تعالى بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم الاضحى)

فاما عيد الفطر فحكمته هي اظهار شكر الله على ما وفق اليه من اداء فريضة الصيام على اكمل وجه وأي عمل يبتهج به المسلم اهم من القيام بما فرضه الله عليه •

واما عيد الاضحى • فحكمته هي اظهار شكر الله على ما انعم به من القيام بفريضة الحـج وادائه على أحسن وجه • اما بالنسبة لمن قام بالفريضة فالامر ظاهر • واما بالنسبة لغيره فليكون مشاركا في السرور لاخيه المسلم الذي قام بها • وليبعث فيه ذلك السرور حرصا ونشاطا على ان يـؤدي تلك الفريضة في اقرب وقت •

وقد سن الله تعالى في هذين اليومين صلاة العيد وان يخرج الناس اليهـا وعليهم علائم الفرح والترفه والابتهاج حتى تكون نعمـة الله ظاهرة عليـهم • والله يحب ان يشاهد آثار نعـمته على عبده •

ورحمة من الله بالفقراء اوجب صدقة الفطر في عيد الفطر • واوجب الضحيـة في عيد الاضحى • حتى يتيسر للفقراء ان يشاركوا الاغنياء في الاحتفال بالعيد • اذ بما ينالونه من الصدقة مالا او لحما يكونون قد كفوا مؤنة السؤال واراقة ماء الحياء في ذلك اليوم العظيم •

وقد امتاز عيد الاضحى بانضمام عيد آخر اليه وهو انه قد نزلت في ليلته اي عشية يوم عرفة الاية التي اعلم فيها الله رسوله صلى الله عليه وسلم بكمال الدين • ونـاهيك بهذا العيد العظيم الذي كملت لنا فيه شريعتنا وفاح في ذلك اليوم مسك ختامها •

ولو لم يصادف ان كان نزولها في يوم عيد لا تخذ المسلمون يوم نزولها عيدا مستقلا حسبما يستفاد من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع بعض اليهود الذي رواه البخاري في كتاب الايمان من صحيحه ونصه :

« عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رجلا من اليهود - وهو كعب الاحبار قبل اسلامه - قال له يا امير المؤمنين ءاية في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لا تخذنا ذلك اليوم عيدا • قال - اي عمر - اي ءاية قال - اي كعب - اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا. قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي صلى الله عليه وسلم وهو قائم بعرفة يوم جمعة) وفي رواية اسحاق بن قبيصة زيادة في ءاخر الحديث هكذا (يوم جمعة يوم عرفة وكلاهما بحمد الله لنا عيد)

ولا يخفى عليك بعد التامل في هذا الحديث أن سيدنا عمر قد وافق السائل على أن يوم نزول هذه الآية يكفيه ان يكون عيدا بنزولها فيه • ولكن لما كان اليوم نفسه يوم عيد فقد تداخل العيدان • واجتمع لنا في ذلك اليوم فضيلتان وشرفان ومعلوم تعظيمنا لكل منهما على حدة فاذا اجتمعا فقد ازداد التعظيم

يوم عاشوراء

واما يوم عاشوراء فاصله عيد سنه سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام لبني اسرائيل حيث انه هو اليوم الذي نجى الله فيه موسى وقومه من فرعون وعمله فهو اليوم الذي شق فيه البحر لموسى فدخله مع بني اسرائيل فتبعهم فرعون وقومه فادركه الغرق وكان من المهلكين فصامه موسى شكرا لله • فاراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشاركه في اظهار السرور والقيام بواجب شكر الله فصامه وامر بصيامه • وقد افصح عن ذلك حديث الشيخين واللفظ لمسلم (عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماهذا اليوم الذي تصومونه • فقالوا : هذا يوم عظيم انجى الله فيه موسى وقومه وغرق

فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن احق واولى بموسى منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر بصيامه) •

ويؤخذ من صحيح الامام احمد رضي الله عنه ان ليوم عاشوراء مزية اخرى وهي انه اليوم الذي استوت فيه سفينة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام على الارض ونص مازاده على رواية الصحيحين : (وهو اليوم الذي استوت فيه السفينة على الجودي فصامه نوح شكراً)

هذه اصول الاعياد الاسلامية تعرضنا لها بما يقتضيه المقام • وبقيت هناك اعياد دينية اخرى اصطلح عليها المسلمون فيما بعد وجرى عملهم على الاحتفال بها والتنويه بشانها • منها ليلة السابع والعشرين من رمضان • ويوم الهجرة • ويوم المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام •

وهي ايام جديرة بان يحتفل بها وان ينوه بشانها وان تقام لها المواكب الجمة الاحشاد• وان يكون الناس فيها في جذل واسعاد • ومن العجيب ان بعض الناس يريد ان يثير اشكالا بان الاحتفال بها من قبيل البدع • وعليه فيجب ان لا يحتفل بها • ويظهر لي ان هولاء الناس ممن يشملهم الصنف الثالث من الاصناف التي انكرنا عليهم في افتتاحية العدد السابق فينبغي ان لا يلتفت اليهم • وان لا يقام لكلامهم وزن •

وفقنا الله للقيام بما فرضه علينا من التكاليف والسنن • ووقانا عواقب الشرور والفتن •

محمد المختار بن محمود

تنبيه :

المرغوب من السادة الفضلاء المشتركين بالمجلة الزيتونية ان لا يسلموا معلوم اشتراكهم لاحد الا اذا قدم لهم وصل الاشتراك ممضى من امين مال المجلة وعليه طابعها



دروس التفسير

لصاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

المقدمة الثالثة في التفسير

بغير المأثور وبالرأي وبالباطن والاشارة

ان قلت اتراك بما عددت من استمداد علم التفسير تجوز لمن استجمع من تلك المادة حظا صالحا وذوقا يفتح له بهما من معاني القرآن ما ينفتح عليه ان يفسر القرآن ويتجاوز ما أثر عن المتقدمين فيفسر القرآن بما يجري على قواعد تلك العلوم وهل ان هو فعل ذلك ففسر آية بشيء لم يذكره السلف يعد مفسرا للقرآن برأيه فلا يحق عليه التحذير الوارد فيما رواه ابو داود والترمذي والنساءي من قوله صلى الله عليه وسلم « من تكلم في القرآن برأيه فاصاب فقد أخطا » وكيف تحاشى بعض السلف عن ذلك فقد روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه وقد سئل عن تفسير حرف من القرآن قيل عن الابّ في قوله وفاكهة وابًّا أنه قال : أي أرض تقلني واي سماء تظلني اذا قلت في القرآن برأيي . وتحاشى سعيد بن المسيب والشعبي عن ذلك .

قلت أُراني كما حسبت اجيز ذلك وهل اتسعت التفاسير وتفننت مستنبطات معاني القرآن الا بما رزقه اهل العلم من الفهم الصحيح في كتاب الله . وهل يتحقق قول العلماء ان القرآن لا تنقضي عجائبه الا بهذا أما انه لو وقف الناس عند المأثور

من التفسير لكان التفسير ورقات قليلة فقد ثبت من حديث عائشة رضي الله عنها قالت ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر من كتاب الله الآيات بعدد علمه جبريل اياهن • وقد كنت مثلت لكم ذلك بتفسيره لعدي بن حاتم معنى حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر • ثم لو كان التفسير مقصورا على بيان معاني مفردات القرآن بحسب اللغة العربية لكان ضئيلا ونحن رأينا كثرة النقل عن السلف من الصحابة فمن يليهم تفسيرا كثيرا فما ذلك الا افهام رزقهم الله أياها قال الغزالي والقرطبي: لا يصح ان يكون كل ما قاله الصحابة في التفسير مسموعا من النبيء صلى الله عليه وسلم لوجهين احدهما ان النبيء صلى الله عليه وسلم لم يثبت عنه من التفسير الا تفسير بعض آيات كما تقدم الثاني انهم اختلفوا في التفسير على وجوه مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال ولو كان بعضها مسموعا لترك الآخر • قلت أي لصرح سامعه لمخالفيه بالرواية حتى يرجعوا اليه فتبين على القطع ان كل مفسر قال في المعنى بما ظهر له باستنباطه • وقد روى البخاري في صحيحه عن ابي جحيفة قال قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي الا ما في كتاب الله[(1)] قال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أعلمه الا فهما يعطيه الله رجلا في القرآن وما في هذه الصحيفة قلت وما في الصحيفة قال العقل وفكاك الاسير وإن لا يقتل مسلم بكافر اهـ

فما جاءت هاته التفاصيل النافعة التي اقتبست منها سائر العلوم الاسلامية الا بافهام العلماء في معاني القرآن وقد قالوا في حروف فواتح السور اقوالا كثيرة مع انها ابعد الفاظ القرآن عن استنباط المعاني منها فما ظنك بغيرها . وذكر ابو بكر ابن العربي في

---

(١) لا شك ان الداعي لابي جحيفة هو ظهور مقالة بعض الشيعة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اسر لعلي بما لم يقله لغيره من الوحي فانهم قالوا ان القرآن وقر بعير وانه عند سيدنا علي ثم توارثه ايمة ءال البيت وهو الآن عند الامام المنتظر فلعل تلك المقالة ظهرت في زمن ابي جحيفة او ان ابا جحيفة ظن ان مكان علي من رسول الله واخوته ومصاهرته تخصه بشيء من الوحي سمعه منه غير ما في المصحف .

العواصم انه املى على سورة نوح خمسمائة مسألة وعلى قصة موسى ثمانمائة مسالة . قال الفخر في تفسير قوله تعالى « وعاشروهن بالمعروف » من سورة النساء ما نصه : وقد ثبت في اصول الفقه ان المتقدمين اذا ذكروا اوجها في تفسير الآية فذلك لا يمنع المتاخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها والا لصارت الدقائق التي استنبطها المتأخرون في التفسير مردودة وذلك لا يقوله الا مقلد خلف

وان شئت دليلا من المنقول فحسبك قوله تعالى « ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » واولو الامر هم اهل العلم كما قال الغزالي فاثبت لهم استنباطا والاستنباط حقيقته استخراج الماء من البئر عند الحفر يقال نبط الماء ونبط البئر كنصر وضرب ومجازه كل ما اظهر بعد خفاء فقد استنبط واستنباط العالم استخراجه العلم بفهمه واجتهاده فهو استعارة وجه شبهها تشبيه كد الذهن لاستفادة المعقولات بآلات علمية بكد اليد بآلات الحفر لاستخراج ماء من البئر ثم صارت هاته الاستعارة حقيقة عرفية عند الفقهاء والاصوليين اقتباسا من القرآن . ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس فقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل . وقال الفقهاء في آداب قراءة القرآن ان التفهم مع قلة القراءة افضل ولا شك ان التفهم لكل قارىء بما يناسبه وغايته للعالم ان يستنبط معاني اذ لم يقولوا استحضار ما فسر به السلف افضل . وقد عد حجة الاسلام ابو حامد في باب آداب تلاوة القرآن من الاحيا اشياء من جملتها التدبر عند قراءته وفسره بانه اعادة النظر في الآية وان يتفهم ويستوضح من كل ءاية ما يليق بها لتنكشف له من الاسرار معان مكنونة لا تنكشف الا للموفقين قال : ومن موانع الفهم ان يكون قد قرأ تفسيرا واعتقد انه لا معنى لكلمات القرآن الا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وان ما وراء ذلك تفسير بالرأي فهذا من الحجب العظيمة

(يتبع) محمد الطاهر ابن عاشور



الحديث الشريف

درس ختم الحديث الشريف الذي القاه فضيلة الاستاذ الاكبر والعلم الاشهر الشيخ سيدي محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي يوم ١٧ رمضان المنصرم بجامع حمودة باشا المرادي بمحضر الحضرة الشامخة العلية وآل البيت الكرام والوزراء الفخام

باب قول الله تعالى وَنَضَعُ المَوازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيامَةِ وأَنَّ أعمال بَنِي ءادَمَ وقَوْلَهُمْ يُوزَنُ وَقالَ مُجاهِدٌ القِسْطاسُ العدل بالرُّومِيَّةِ ويقال القسط مصدر المقسط وهو العادل واما القاسِطُ فهو الجائِرُ حدَّثنا احمدُ بن أشكابَ حَدَّثَنا مُحَمَّدُ بنُ فُضَيْلٍ عَنْ عُمارَةَ بن القعقاعِ عن ابي زُرْعَةَ عن ابي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قالَ قالَ النَّبِيءُ صلى الله عليه وسلم كَلِمَتانِ حَبِيبَتانِ إلى الرحمنِ خَفِيفَتانِ على اللِّسانِ ثَقِيلَتانِ في المِيزانِ سُبْحانَ اللهِ وبِحَمْدِهِ سُبْحانَ اللهِ العَظِيمِ

البيان

افتتح البخاري كتابه هذا بحديث الاعمال بالنية والاعمال واقعة في الدنيا وختمه بحديث وزن الاعمال الواقع في الآخرة وصلا للمبتدا بالمنتهى وإشعارا بلامعة الرمز الى استيفاء الغرض وحصول التمام وذلك من براعة المقطع وحسن الختام ولا غرو فقد التزم رحمه الله في هذا التاليف المبارك ان يكون في الحديث الاخير من كل كتاب من الكتب المترجم بها ما يشعر بالانتهاء كقوله في آخر بدء الوحي فكان ذلك آخر شان هرقل وفي آخر كتاب الايمان ثم استغفر ونزل ولن تجد ما يتخلف عن ذلك الا قليلا

كيف لا والامام البخاري من أهل الترجيح وتمييز الصحيح من غيره ذلك ان

الاحاديث لم تكن مدونة في عهد الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة رضي الله عنهم وانما اعتمدوا في ذلك العصر على الحفظ والتلقي بطريق الرواية قالوا لئلا يشتغل الناس بها عن القرءان وينبغي أن يضاف لذلك خشية الالتباس واختلاط القرءان بغيره كما وقع لاهل الكتاب فانهم كتبوا مع كتاب الله كتبا أخرى وربما كان ذلك هو المبدأ فداخله التحريف يرشدنا لذلك ان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أراد أن يكتب السنن واستشار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشار عليه غالبهم بذلك فمكث شهرا يستخير الله ثم أصبح يوما فقال اني كنت ذكرت لكم من كتب السنن ما علمتم فاذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم كتبوا مع كتاب الله كتبا فاكبوا عليها وتركوا كتاب الله واني لا البس كتاب الله بشيء فترك كتابة السنن واستمر الحال على ذلك الى آواخر المائة الاولى

ولما تواتر القرءان في سائر الاقطار الاسلامية وأقبلت الامة على الاعتناء بحفظه وامن بذلك من الالتباس والاشتغال عنه وخيف ذهاب الكثير من السنة بذهاب رواتها وقع إذ ذاك تدوينها في جميع الانحاء على أختلاف مشارب رجالها

ثم جاءت طبقة من المحدثين صرفوا عنايتهم نحو الاختيار والترجيح فدونوا ما رووه ورأوه من الصحيح طبق ما اشترطوا في طريق الرواية وحال الرواة وفي مقدمة هذه الطبقة شيخا السنة ابو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ومسلم بن الحجاج

وقد أبدع البخاري في تدوين كتابه هذا بما لم يسبق اليه وكأين من اشارة لطيفه في مدارج اسلوبه الحكيم الا يرى كيف صدر الباب هنا بالآية التي ورد فيها ذكر الميزان بصيغة الجمع وخرج الحديث الذي جاء فيه الميزان بصيغة الافراد تنبيها على ان الجمع لا لتعدد الموازين بالنظر الى الاشخاص أو باعتبار الاحوال كما قيل بل لتعدد انواع العمل كما يرشد اليه فمن ثقلت موازينه اي اعماله الموزونة فانها الموصوفة بالثقل والخفة او للتفخيم على شاكلة قوله تعالى كذبت قوم نوح المرسلين مع ان المرسل اليهم واحد وهو نوح عليه السلام ولا يشكل اتحاد الميزان مع كثرة الموزون لان احوال القيامة لا تكيف باحوال الدنيا

وقد اجمعت الامة على وجوب الايمان بالميزان يوم القيامة لثبوته بالكتاب والسنة البالغة مبلغ التواتر كما اجمع اهل السنة على انه ميزان حسي له لسان وكفتان توزن به صحائف الاعمال او نفس الاعمال فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون وقالت المعتزلة ليس هناك ميزان حسي وتأولوه بانه مجاز ومثل للقضاء بالعدل والراجح ماذهب اليه اهل السنة وهو المتبادر من الآيات والاحاديث ومنها حديث الباب كلمتان حبيبتان الى الرحمن اي محبوب قائلهما ومحبة الله للعبد مجاز عن الثواب او ارادته وفاقا للقاعدة المستمرة فيماورد مما لا يجوز إطلاقه بالمعنى الحقيقي على الله تعالى كالرحمة والغضب والحياء وغير ذلك من المعاني المختصة بالاجسام واعتمادا في تعيين المجاز على التردد المقرر بين الاشعري والباقلاني في الحمل على النهايات كالاحسان في الرحمة الذي هو من صفات الفعل او البدايات كارادة الاحسان التي هي من صفات الذات

وخصت المحبة هنا بالاضافة الى الرحمن لمناسبة مورد الحديث وهو الدلالة على سعة فضل الله ورحمته حيث يجازي على العمل القليل بالثواب الجزيل،

قيل وهذا الفضل الذي تضمنه حديث الكلمتين ونظائره مما ورد في الاذكار والاعمال الصالحة انما هو للمتقين اهل الشرف والكمال في الدين لا لكل عامل وذاكر وقد انتحى هذا القائل مسلك الشهاب القرافي وهو قبول العمل الذي هو عبارة عن الثواب مع كونه بمحض الفضل مشروط بالتقوى مستدلا بقوله تعالى في قصة ابني ءادم انما يتقبل الله من المتقين وان المراد من التقوى هو المعنى العرفي اعني المبالغة في القيام بالواجبات واُجتناب المحرمات وبعبارة عدم العصيان غالبا وان ما جاء من الادلة المطلقة في الوعد على العمل الصالح بالمثوبات المتعددة والمضاعفة المتنوعة محمول على شرط التقوى بالمعنى المذكور على طريقة حمل المطلق على المقيد دفعا للتعارض هذا خلاصة ما استظهر في الفرق الخامس والستين

وتعقبه سراج الدين ابن الشاط بان حمل التقوى على المعنى العرفي مجرد احتمال غير متعين لا يعارض ولا يقيد اطلاق قوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها وقوله والله يضاعف لمن يشاء وقوله عليه الصلاة والسلام صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس

او سبع وعشرين درجة وغير ذلك من الآيات والاحاديث المتكاثرة المتضافرة ظواهرها على الاطلاق وعدم التقييد البالغة في ذلك مبلغ القطع وان الظاهر تفسير التقوى بمطلق الايمان الموافى عليه اي الايمان الذي يتوفى عليه الشخص سواء كان الغالب عليه عدم العصيان اولا وتفسير التقوى بهذا المعنى هو الذي يتلاقى مع ظواهر تلك الادلة ويلائم ما انبأت به القواطع من اتساع باب الرحمة وساحة الفضل فما ثم حينئذ الّا الاطلاق لان الموعود بالثواب هم المؤمنون وهم متصفون بالتقوى بمعنى مطلق الايمان فالتقييد عين الاطلاق هذا ما حرره ابن الشاط والقول ما قاله القرافي إن سلمه ابن الشاط كما في ضوء الشموع للشيخ الامير

وتوضيحه ان مرجع النظر في هذه المسالة الى قاعدة حمل الكلي المطلق كالتقوى على ادنى مراتب افراده او على اعلاها وقد حرر القرافي في الفرق الحادي والعشرين ان فروعها ليست سواء بل هي على انواع نوع اجمع الناس فيه على الحمل على الاعلى وهو ما ورد في الاوامر بالتوحيد وكمال التعظيم والاجلال في ذاته تعالى وصفاته العليا فلا خلاف في أن المامور به في هذا النوع هو أقصى غايته الممكنة للعبيد ولذا قال عليه الصلاة والسلام لا أحصي ثناء عليك كما أثنيت على نفسك ونوع أجمع الناس فيه على الحمل على الادنى وهي الاقارير فاذا قال له علي دنانير يقبل تفسيره باقل مراتب الجمع وهو ثلاث لان الاصل براءة الذمة النوع الثالث ما اختلف فيه العلماء لعدم اقترانه بما يعين احد الامرين وذهب كل فريق إلى ما ترجح عنده بما لا يعدو طريق الظن والاجتهاد كالرشد في قوله تعالى فان ءانستم منهم رشداً فادفعوا اليهم أموالهم حمله أبو حنيفة ومالك رضي الله عنهما على الادنى وهو الرشد في المال خاصة وحمله الشافعي رضي الله عنه على الاعلى وهو الرشد في المال والدين والصعيد في ءاية التيمم حمله أبو حنيفة ومالك على الادنى وهو ما يسمى صعيداً اي وجه الارض ترابا كان أو حجراً صلداً وحمله الشافعي على الاعلى وهو التراب وما اشبه ذلك من الفروع الخلافيه بين ارباب النظر

وبذلك يتبين جليا ان التقوى التي هي شرط القبول والثواب ينبغي ان تكون

من النوع الثاني الذي يتعين فيه الحمل على الادنى وهو مطلق الايمان كما قال ابن الشاط لاقترانه بما يعين ذلك وهي الادلة الكثيرة المتضافرة ظواهرها على الاطلاق وقد صرح ابو اسحق الشاطبي بان كثرة الظواهر تفيد القطع

ويؤيده ايضا حديث البطاقة الذي رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه وهو ان الله تعالى يستخلص يوم القيامة رجلا على رءوس الخلائق ينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل منها مثل مد البصر ثم يقول له اتنكر من هذه شيئا اظلمك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول له تعالى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم فتخرج بطاقة فيها اشهد ان لا إله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فيقول احضر وزنك فيقول ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال له انك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة اي لمضاعفة تلك الحسنة الى ما شاء الله بسبب ما اقترن بها من الاخلاص وقوة التصديق وان كان صاحبها قليل العمل وفي الحديث الحسنة بعشر امثالها الى سبعين الى سبعمائة ضعف الى ما شاء الله والله يضاعف لمن يشاء. هذا ويظهر لي ان ما ورد من الفضل ومضاعفة الثواب في بعض الاعمال وبعض الاذكار منوط بقصد العبادة والتقرب الى الله تعالى وتصور معنى الذكر ولو في الجملة لا بمجرد العمل واجراء الكلام على اللسان مع الغفلة وعدم القصد يرشدنا لهذا قوله تعالى (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وقوله (الا لله الدين الخالص) وان النبيء صلى الله عليه وسلم ذكر في مواضع الترغيب الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا اله الا الله صدقا من قلبه ومرة خالصا او مخلصا كما في صحيح البخاري وغيره وبذلك يتجلى انه لا محيص عن تقييد تلك الظواهر المتضافرة على الاطلاق بما دلت عليه الادلة القاطعة من اعتبار حضور القلب وقصد التقرب الى الله تعالى وظني ان هذا هو الوسط العدل بين تضييق القرافي وتوسيع ابن الشاط

وكلمتان خبر مقدم وما بعده صفة والمبتدا سبحان الله وبحمده مقصود لفظه على وزان هجيرى ابي بكر لا اله الا الله اي هذا اللفظ وهو سبحان الله الخ كلمتان حبيبتان الى الرحمن وقدم الخبر تشويقا لطوله بالاوصاف الباعثة للسامع على التشوف

وانتظار المسند اليه ليتمكن في النفس فضل تمكن وكلما ازداد الخبر طولا ازداد التقديم حسنا وموقعا وعلى هذا الطراز البلاغي نقول

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وابو العباس والقمر

وعساك ايها الباحث عن لطائف السحر البياني ان يزيدك البيت لطيفة اذا ما زدته نظرا وهي ذكر ثالث النيرين وسطا بين الطرفين للاشعار بزيادته عليهما عملا بقاعدة خير الامور الوسط

وانظر هل يجري منحى هذا التشويق في المبتدإ الموصوف مجراه في الخبر ولم يصرح به اهل الصناعة قصدا الى ادراكه بالمقايسة او لا يجري ذلك المجرى لكونه خاصة الخبر. هذا الذي افضنا القول فيه من تقديم الخبر هنا هو الذي رجحه شراح الحديث ورجح الكمال ابن الهمام في تعليقه على اعراب الحديث جوابا عن سؤال القي اليه ان المتقدم هو المبتدا وسبحان الله وبحمده هو الخبر موجها ذلك بان الاصل عدم التقديم والتأخير الا لموجب وبان الخبر محط الفائدة وسبحان الله مفيد بنفسه بخلاف كلمتان فباعتبار الوصف والمفيد بالذات أولى من المفيد بالوصف

وفيه ان ما علل به لا يقاوم فكيف يغالب غرض التشويق واحربه أن يكون موجبا وداعيا لخصوصية التقديم المطابق لمقتضى الحال وان لا يعتد معه بكون الافادة بالذات او الوصف خصوصا مع صدور الكلام عن أبلغ البلغاء وأفصح من نطق بالضاد اللهم إلا إذا رجعنا في الحافرة وقلنا لا مانع من إجراء المبتدإ الموصوف مجرى الخبر في غرض التشويق ولعل هذا ملحظ ابن الهمام في الترجيح لحصول الغرض البلاغي حينئذ مع رعاية الاصل

وسبحان مصدر على إضمار الفعل أي اسبح سبحان الله والتسبيح هو تنزيه الله تعالى عن عوارض الحدوث والولد والشريك تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وإنما كرر التسبيح للتنبيه على كمال الاعتناء بشانه دفعا في صدور المخالفين من أهل الملل والنحل الفاسدة سبحان ربك رب العزة عما يصفون

وقد أشعرنا وصف الثقل في الميزان بفائدتين مزدوجتين فضيلة التسبيح بالكلمتين

الحديث الموضوع

٣

المشتهر منه

ذكرنا في الفصول السالفة أسباب الوضع وعلامات الحديث ونريد أن نذكر في هذا الفصل نتفا من احاديث متكلم فيها عند نقدة هذا الفن ولها اشتهار بين خطبائنا او في مجالس الخاصة وغرضنا من ذلك ان يقفوا على مقالة علماء الحديث الذين عنوا بتمييز الصحيح من غيره فيها حتى يكونوا على بينة من أَمرها واليك بعضها :

حديث : رجب شهر الله وشعبان شهري ورمضان شهرا متي ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال الحافظ ابن حجر في كتابه تبيين العجب انه موضوع ايضا وللخطباء ولع بذكره

واما حديث : اتاكم شهر رمضان شهر مبارك تفتح فيه ابواب الجنة وتغل فيه

وجهة التفضيل وهي كثرة الثواب وفق لقاعدة المؤسسة على السمع من قواعد التفضيل كالايمان فانه افضل الاعمال ناهيك بعظم ثوابه وهو الخلود في الجنان والخلوص من النيران وكالصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم فانها افضل من الف صلاة في غيره وفي المسجد الحرام أَفضل من الف ومائة وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة

هذا وقد ورد في التسبيح احاديث وآثار كثيرة منها ان سبحان الله والحمد لله والله اكبر من الباقيات الصالحات والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ومن فضيلة التسبيح انه جاء في معرض المعجزة اخرج البخاري في علامات النبوة عن ابن مسعود رضي الله عنه كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل ولم نقف على صيغة التسبيح المسموع من الطعام والظاهر ان الصيغة هي سبحان الله وبحمده لقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وكما جاء التسبيح في معرض المعجزة كذلك جعل مقدمة الاعتذار في قول الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وجعل فاتحة الدعاء فكان النبي صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء بقوله سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب

مردة الشياطين وفيه ليلة هي خير من الف شهر من حرم خيرها فقد حرم . فقد رواه الامام احمد والبيهقي والنسائي عن ابي هريرة

حديث : الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه • رواه ابو يعلى والعسكري بتمامه واحمد وابو نعيم بالاقتصار على الشتاء ربيع المؤمن وكلهم رووه عن ابي سعيد مرفوعا وفي مسنده ابو الهيثم ضعفه جماعة ووثقه آخرون وله شواهد فيصير حسنا لغيره منها ما رواه الطبراني وغيره عن أنس مرفوعا • الصوم في الشتاء الغنيمة الباردة

حديث : ابى الله الا ان يرزق عبده المؤمن إلا من حيث لا يعلم اورده ابن الجوزي في الموضوعات وقال البيهقي ضعيف بالمرة لانه من رواية عمر بن راشد وءاية (ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب) ليس فيها حصر

حديث : اتخذوا عند الفقراء ايادي فان لهم دولة يوم القيام قال الحافظ ابن حجر لا اصل له وذكر السخاوي عدة احاديث بمعناه وعقب عليها بقوله كل هذا باطل

حديث : اتقوا زلة العالم قال الهندوي هو ضعيف ان لم يكن موضوعا لكن روى البيهقي عن ابن عمر مرفوعا ان اشد ما أتخوف على امتي ثلاثة زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تقطع اعناقكم فاتهموها على انفسكم وهو بمعناه والمشهور على الالسنة زلة العالم زلة العالم

حديث : اتق شر من أحسنت اليه وفي لفظ ماتحسن اليه قال السخاوي لا اعرفه ويشبه ان يكون من كلام بعض السلف وهو ليس على اطلاقه بل محمول على اللئام دون الكرام فعن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه انه قال ما وجدت لئيما قط الاقليل المروءة وفي التنزيل (وما نقموا منهم الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله) وقال ابو عمرو ابن العلا يخاطب بعض اصحابه كن من الكريم على حذر اذا اهنته ومن اللئيم اذا اكرمته ومن العاقل اذا احرجته ومن الاحمق اذا رحمته ومن الفاجر اذا عاشرته : وهذا الشاعر يقول

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وان أنت أكرمت اللئيم تمردا

حديث : اجتمعوا وارفعوا أيديكم فاجتمعنا ورفعنا أيدينا ثم قال اللهم اغفر للمعلمين ثلاثا كيلا يذهب القرآن واعز العلماء كيلا يذهب الدين قال في اللئالي انه موضوع وسلمه غيره

حديث : الاجتماع مقدر قال السخاوي لم اقف على انه حديث وانما قيل انه من كلام اويس القرني

حديث : أحبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه عن ابي هريرة والطبراني عن ابن عمر وابن عمرو والدارقطني والبيهقي عن علي موقوفا والبخاري في الادب المفرد فلا متكلم فيه حينئذ

حديث : اختضبوا فان الملائكة يستبشرون بخضاب المؤمن نقل ابن حجر المكي عن السيوطي انه كذب موضوع

حديث : اخفوا الختان وأعلنوا النكاح قال السخاوي لا اصل للاول يعني اخفاء الختان ويشهد لما روي فيه من الاعلان قول سالم ختنني ابي (يعني ابن عمر) انا ونعيما فذبح علينا كبشا فلقد رأيتنا وانا لنجذل به على الصبيان ان ذبح علينا كبشا وبوب له البخاري في الادب المفرد بالدعوة في الختان وباللهو في الختان وذكر احاديث تشهد للاعلان به

حديث : اخوك البكري ولا تأمنه قال في المقاصد رواه ابو داود واحمد وغيرهما مرفوعا والبكري بكسر الموحدة وهو الذي ولده ابواك اولا ومعنى الحديث المبالغة في التحذير اي اخوك الشقيق احذره ولا تأمنه فضلا عن الاجنبي وهذه كلمة جاهلية تمثل بها الرسول عليه الصلاة والسلام من قصة مطولة سردها ابو داود

حديث ادفع الشك باليقين • من القواعد الجارية على السن الفقهاء (وهو وان أخرجه السخاوي عن دائرة الحديث لكن له شاهد من الصحيح وهو : دع ما يريبك الى ما لا يريبك • وفي الحلية لابن نعيم عن الثوري : عليك بالزهد يبصرك الله عورات

الدنيا وعليك بالورع يخفف حسابك ودع مـا يريبك الى ما لا يريبـك وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك

حديث ادفنوا موتاكم وسط قوم صالحين فان الميت يتأذى بجار السوء كما يتأذى الحي بجار السوء وفي رواية قيل : يا رسول الله وهل ينفع الجـار الصالح في الآخرة ؟ قال : هل ينفع في الدنيا ؟ قالوا : نعم . قال كذلك ينـفع في الآخرة . هـذا الحديث منظوم عند ابن الجوزي في عداد الموضوعات بيد أن عمل السلف والخلف لم يزل على هذا ومما يشهد له ما اخرجه ابن عساكر عن علي رضي الله عنه : امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ندفن موتانا وسط قوم صالحين فان الموتى يتـأذون بالجـار السوء كما يتأذى به الاحياء

حديث شبه الشيء منجذب اليه[1] وفي لفظ شبيه ليس من كلام الرسـول وهو بمعنى الارواح جنود مجندة ومن العبارات الدائرة على الالسنة : الجنس الى الجنس اميل

حديث شرار امتي العلماء الذين ياتون الامـراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء روى شطره الاول فحسب ابن ماجة لكنه بسند ضعيف حسبما نص على ذلك الزين العراقي في تخريج احاديث الاحياء

حديث شرار امتي الذين غذوا بالنعيم يـأكلون الوان الطعام ويلبسـون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام رواه ابن ابي الدنيا في ذم الغيبة والبيهقي وسنده ضعيف

حديث شراركم معلموا صبيانكم اقلهم رحمة على اليتيم واغلظهم على المسكين

---

(١) ضمن العلامة الشيخ المكي بن عزوز دفين الاستانة المتوفي سنة ١٣٣٤ هذا المثل في المصراع الاخير من ابيات اربع كتبها بخطه تحت عنوان مؤلفه « السيف الرباني » وبعث بها الى جدنا القاضي العادل الشيخ محمد الطاهر النيفر المتوفى سنة ١٣١١ وهي :

كتـاب ام ذا شرف فخيم ❊ حسام الشرع اضحى في يديه
جنـاب الطاهر السامي مقاماً ❊ رقى اوج السمـاك باخمصيـه
وسيف قضاة اهل العصر حقا ❊ طغاة الوقت خاضعـة لديه
ولم لا ينتحي سيف لسيـف ❊ وشبـه الشيء مجـذب اليه

من خصائصه صلى الله عليه وسلم

عصمته في هواه

بقلم العالم النحرير الشيخ الناصر
الصدام المدرس بجامع الزيتونة

اذا توجهت عناية الله تعلى لشيء كانت الاكسير الذي يستحيل به النحاس ذهبا وينقلب به السبب مانعا والمانع سببا (قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم) (وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق الآيه (قالت ياويلتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً ان هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت انه حميد مجيد)

هاته آيات فصلت من كتاب وذكر حكيم دبجنا به ما نحدثك عن ميزة من ميزات محمد رسول الله وخاتم النبيئين وشارة من شاراته اذ لم يسبق لاحد -فيما علمت- التنبيه على أنها من خصوصياته الا وهي عصمته صلى الله عليه وسلم في هواه

فإنه لما أحاطت به العناية الربانية أصبح كله لله وبالله ومن الله والى الله وكذلك ربك إذا أحب عبداً كان له سمعا وبصراً ولساناً وقلباً ورجلا ويداً

وما حديث الشق عن الصدر الشريف إلا آذان في الخليقة أولها وآخرها بانه القلب الذي هو بيت الرب والمكان الذي بورك حوله ليرى محمد صلى الله عليه وسلم بالبصر والبصيرة الآية الكبرى (ما كذب الفؤاد ما رأى)

افاد في اللئالى انه موضوع ولعمري كيف لا يكون كذلك وهذا المرشد الاعظم يقول خيركم من تعلم القرءان وعلمه على ما رواه البخاري والترمذي عن علي رفعه

حديث شر الحياة ولا الممات هو من كلام بعض الحكماء وليس بحديث ثم انه كلام صحيح ان كان مراد قائله بشر الحياة ما ينتاب المال والانفس من الاعراض الدنيوية وما الى ذلك واما ان كان يقصد بشر الحياة الى ما هو اعم من ذلك ومن جملته الفتنة في العقيدة فهو رد (يتبع)

خادم الحديث : محمد الصادق النيفر

وما العدول عن الماء إلى الثلج عند الغسل مع أن المـاء أنقى « لو كانت الادران » إلا لينثلج ذلك الصدر المبارك للحقائق وليستعد لما يفاض عليه من الاسرار والانوار حتى لا يكون مبهوراً (كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا) (١) وما الختـم بين الكتفين الشريفين إلا لتأييس الاولين والآخرين من محاولة بلوغ ذلك الشأو ولانها المنـح التي لا تنبغي لاحد من قبل أو بعد وللتعويذ ايضاً من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس (لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين) (٢)

فهو صلى الله عليه وسلم مطرد العصمة في جميع الاوقات وعموم الحـالات وسائر التقلبات حتى في اتباع هوى نفسه وأميالها وان هو إلا ما ربك اوحى لها

يشهد لذلك امور منها قول الصديقـة رضي الله تعالى عنها (ما ارى ربـك إلا يسارع في هواك (٣)) وجه الدلالة أن المسارعة هنا مأولة بالتشريع على وفق ما تهواه نفس الحبيب صلى الله عليه وسلم والتشريع مطلقا أي خاصا كان أو عـاماً أمر والله تعلى لا يأمر بـالفحشاء والمنكر وكذلك قـوله سبحانه (قد نرى تقلب وجهك في السمـاء فلنولينك قبلة ترضاها) وهاته الآية الكريمة تـدل على ما ذكر من حيث انها سيقت مساق التبشير له صلى الله عليه وسلم والامتنان عليه بما يهواه ويتطلع اليه وهو التوجه الى أول بيت مبارك وضعه للناس أبوه ابراهيم عليه السلام ولانه الوطن الاصلي وحب الوطن من الايمان

ومما يشهـد لذلك ويدل عليه قوله جل وعلا (وتخفي في نفسك ما الله مبديـه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه) وهاتـه دلالتها من حيث أن الانسان يخفي

---

(١) وهاته دلالتها على تحقيق توجه العناية الالاهية لاعداد المحل لما يحل

(٢) فيها دلالة على العناية بجنس التاييد والتثبيت

(٣) اخرجه البخاري في كتاب النكاح مترجما له بقوله هل للمراة ان تهب نفسها لاحد فقال (حدثنا هشام عن ابيه قال كانت خولة بنت حكيم من اللائي وهبن انفسهن الى النبيء صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة اما تستحيي المراة ان تهب نفسها للرجل فلمـا نزلت ترجي من تشاء منهن قالت يـا رسول الله ما ارى ربك الا يسارع في هوك رواه ابو سعيـد المؤدب ومحمد بن بشر وعبدة بن هشام عن ابيه عن عائشة يزيد حديث بعضهم على بعض اهـ) قلت وفيه دلالة على فقه نفس الصديقة وفهمـها عن الله تعلى فرضي الله عنها وعن سائر امهات المسلمين

في نفسه ما يشفق فيه من الملامة والتعنيف فالمخفي من هوى النفس لا محالة وابداء الله تعلى لهذا المخفي ابداء تكريم وتشريع لا ابداء ملامة وتشنيع

ومن تلك الادلة قوله عليه الصلاة والسلام (حبب الي من دياكم النسآء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة) فان النساء والطيب مما تهواه الانفس لا محالة

وكذلك قوله عليه الصلاة والسلام في شان الصلاة أيضا (أرحنا بها يا بلال) فان فيه دلالة من حيث ان النفس ترتاح لهواها وتملأ العيون وتقر بحبيبها

ومن ذلك حديث شق الصدر المومى اليه فانه خصوصية ايضا لها دلالة على هاته الخصوصية من حيث الارتباط والنشأة

واعلم أن هذا التحقيق قد استتبع تحقيقا وأشرق نوره فاستوضحنا بـه الى الهدى طريقا وذلك شأن الحقائق في بدو أنوارها للمشاهد اذ هي سبوح لها منها عليها شواهد

والذي تراءى لنا من ذلك أمران الاول ان قوله سبحانه (وما ينطق عن الهوى) هو مما كني فيه بنفي اللازم عن نفي الملزوم(١)

الثاني ان معاد الضمير في قوله تعلى (ان هو الا وحي يوحى) لفظ الهوى المتقدم لا القصة والشان ولا القرآن كما قيل بذلك اذ الاصل في المعاد الذكر دون الحذف فلا يصار اليه إلا لدليل

فذنك برهانان من ربك لقينا بهما نجاحا في غابر الازمان ودليلان وضاءان على تطاول العهد ما مستهما يدان

وبهذا التحقيق تجتث جذور الفتنة في قضية تزوجه صلى الله عليـه وسلم بزوجة متبناه نسفا فينقطع الافاكون ويقتل الخراصون

هذا حاصل ما علمت مما يدل على عصمته صلى الله عليه وسلم في هواه أمـا دليل اختصاصه بذلك فمنه قوله جل وعلا حكاية لمقالة سليمان عليه السلام وتقريراً لمضمونها (إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى تـوارت بالحجـاب (وقوله سبحانه في قصة يوسف عليه السـلام (ولقد همت بـه وهم بها لـولا ان رأى برهان ربـه

(١) اي فهو قضية سالبة صادقة بنفي موضوعها كقوله على لا حب لا يهتدى بمناره

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) وكذلك تنبيهه تعالى لداود عليه السلام عن اتباع الهوى وتحذيره من وخامة عواقبه في قوله (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) فانك إذا قايست ما خوطب به داود بما خوطب به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم في الآي المتقدمة ونحوها تبينت تفاوت المراتب وان منا الا له مقام معلوم

وحاصل ما في المقام انهم عليهم الصلاة والسلام معصومون من هواهم وهو صلى الله عليه وسلم معصوم في هواه وهذا وأمثاله رمز الى سمو منزلته وكمال اختصاصه بربه سبحانه فحقا أن النفسية المحمدية كنز من كنوز الله المطلسمة وهي كهرباء العوالم التي هيهات أن تدرك كنهها الافكار ويرحم الله أويسا القرني اذ يقول (والله ما عرفتم من محمد إلا ظله ولا يعرف محمداً إلا ربه) فالحمد لله الذي قسم لنا من هذا النور المحمدي ما عرفنا به لذلك الجناب الارفع عصمته في هواه وهدانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

ما هوى نفسه الزكية بالمر … دي ولا بالمخوف في عقباه
بل هو الوحي افعم الكل قطعا … فالانا ما حوى لشيء سواه
وكذا اليمن حيثما حل يسري … نفعه في اجزاء ما قد حواه
ولذا مثل الله بالمشـ … ـكاة فيها مصباحها وسناه
موقدا من (زيتونة) كاد منها الز … زيت ان يشرق الضلام صفاه
هكذا سيد الخليقة اضحى … بصفا النفس مستبان هداه
فهو لو لم يبعث الينا رسولا … لرأيناه للعلا منتهاه

الناصر الصدام

تنبيه

وقع تحريف في الآية الكريمة الموجودة بالسطر السابع من صحيفة ١٥٠ من الجزء الثالث وصواب الآية (اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون ، كما وقعت بعض اخطاء مطبعية اخرى لا تخفى على القاري اللبيب

التشريع الاسلامي والمرأة

بقلم العلامة الجليل الامام النظار الشيخ سيدي محمد
العزيز جعيط المفتي المالكي والاستاذ بجامع الزيتونة

كثيراً ما فوق المتعصبون من الغربيين سهام الانتقاد على الشريعة بتهمة الاجحاف بحقوق المراة حتى اثر ذلك على بعض المنتمين الى الاسلام ممن فتنهم زبرج التمدن الغربي فانصاعوا لاقوال اهله دون تمييز بين السمين والغثيث والطيب والخبيث وأصبح النساء مثار فتنة من ناحية العدل في التشريع كما كن وما زلن حبائل فتنة من ناحية العفة والاستقامة

لهذا آثرنا الحديث على مراعاة الشارع للمراة في جميع أطوارها وعامة نواحيها حتى يتجلى لذي عينين محاسن هذه الشريعة المباركة فيما تضمنته تعاليمها من مراعاة مصالح النساء

المراة في طور الطفولة

كان الجاهلية يرون ان البنات عبء ثقيل عليهم لانهن لا يشددن ازر القبيلة ولا يمنعن طوارق الغارات ولا يقوين على القيام بمؤنة الابوين والاقارب وهن مع ذلك عرضة لهوان السبي وذلة الفجور وسبب للفاقة فكان نفورهم منهن عظيما وربما طغت وساوس النفور ببعضهم فدفعته الى وأد بناته تخلصاً من شرهن وما زالت هذه الكراهة تساور نفوس بعض المسلمين الذين لم يرتاضوا بالآداب الشرعية وتنتاب قلوب الاجانب عن الدين الاسلامي الذين تعودوا تحمل تكاليف مالية في سبيل تزويج بناتهم فجاءت الشريعة الاسلامية السمحة بحماية البنت من خطر اثر النفرة ونهت عن وأد البنات فقال الله تعالى (ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم) ثم بينت ما يوجب

استئصال النفرة من النفوس وينبهها من غفلتها بايقاظ الشعور بما تقوم به البنت من الخدم الجليلة وتجلبه من الانصار بسبب الاختان والاصهار عند ما تصير قيمة ببيت زوجها فقال الله تعلى في معرض التنبيه على انعام الله على عبيده (والله جعل لكم من جنسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات) اي جعل لكم من جنسكم ازواجا لتأنسوا بهن وتقيموا بذلك جميع مصالحكم وجعل لكم من ازواجكم بنين يحمون ظهوركم وبنات يخدمن بيوتكم اتم خدمة وعبر عن البنات بالحفدة (والحافد المسرع في الخدمة والطاعة) ايذاناً بوجه المنة (وهذا أحد الافهام في الآية وقيل المعنى جعل لكم من ازواجكم بنين واعوانا من الاخدان والانصار وقيل غير ذلك) ولم تقف الشريعة عند حد ايقاظ التدبر المفضي لتقلص ظل كراهتهن بل ترقت فبينت ان العوامل التي كانت تدفعهم الى الكراهة تحمل في مطاويها سعادة الفوز بالنعيم المقيم والنجاة من العذاب الاليم فجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابتلي من البنات بشيء فاحسن اليهن كن له سترا من النار والتعبير بالابتلاء لجريان عادة الناس بكراهتهن كما قال تعلى (واذا بشر احدهم بالانثى) الآية ولا يقتضي الحديث ان لا يكن سترا الا لمن أحسن اليهن على تكرهه حتى يتقرر كونهن بلية لان الحديث خرج مخرج الغالب والمسالك العربية تقتضي اهمال مفهومه والاحسان الوارد في الحديث لا يختص بناحية معينة بل يحصل بكل من اصل الانفاق والتوسع فيه والتشوير المباح والتغذية بلبان المعارف والتلقين للاخلاق الفاضلة والخطاب بلين القول وطلاقة الوجه واللقاء ببسط جناح العطف والحدب ولا يلزم من ورود الحديث بسبب الاحسان بالاطعام قصره عليه لان السبب لا يخصص وكيف يصح ان يقصر الاحسان على الامور المادية الخسيسة ولا يتناول الامور المعنوية النفيسة وقد جاء في الحديث الصحيح ايما رجل كانت عنده وليدة فعلمها باحسن تعليمها وادبها فاحسن تاديبها ثم أعتقها وتزوجها فله اجران فاذا كان لتعليم الولائد وتاديبهن اثر في نمو الاجر فكيف لا يكون لهما اثر في البنات وجاء في الحديث الصحيح من عال جاريتين حتى تبلغا جاء يوم القيامة انا وهو وضم رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابعه يريد رفاقته معه في الجنة او السبق الى

دخولها معه وهذا الفضل لمن قام بالمئونة والكفالة يستوي فيه من كان البنات له ومن كان البنات لغيره فهذه ادلة صريحة تحدثك باهتمام الشارع بالبنت قبل استقلالها

البنت في طور الشباب

راعت الشريعة ما تحتاجه المراة من زواج تقتضيه الطبيعة ويتطلبه العمران وتنتظم به المصالح فامرت الاولياء بتزويج المراة ومنعتهم من عضلها قال الله تعلى: وأنكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال جل ذكره: واذ اطلقتم النساء فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف وسواء أقلنا ان الخطاب للاولياء كما يدل عليه حديث معقل بن يسار الوارد في الصحيح ام قلنا ان الخطاب للازواج كما يقتضيه قوله واذا طلقتم النساء وان التعبير بالازواج عن الخطاب باعتبار المثال فالآية صريحة في النهي عن العضل ممن يمكن حصوله منه وقد احتاطت الشريعة للمراة في شان الزواج فقيدته بقيود تفضي الى سعادتها وتحفظها من طوارق المؤذيات ذلك انها بنت النكاح على ما يثمر الحب ويتقاضاه حسن التدبير واعتبرت فيه ما يكون اكفل بدوام العشرة وحسن الالفة وابلغ في حفظ الشرف

حسن الاختيار واشتراط الولي

لم تجعل الشريعة للمراة الاسلامية الاستقلال بابرام النكاح بل جعلت اختيار الزوج لها وأوقفت ابرام العقد على موافقة وليها لان النساء سريعات الاغترار بالظواهر والانقياد الى البوارق فربما اخترن غير الاكفاء فتجرعن مرارة سوء الاختيار وأصاب سوء الاختيار شظاياه اولياءهن فراعى الشارع مصلحتهن واشترط الولي في النكاح وحماهن من جور الاولياء فنهاهم عن العضل ومكن المعضولة بغير حق من ادراك بغيتها بانهاء امرها الى الحاكم حتى اذا تبين له جور الولي تولى الحاكم ابرام العقد اذا لم يمتثل الولي لابرامه وهذا نهاية المبالغة في الاحتياط لها فاشتراط الولي في حق المراة ليس اجحافا بحقها كما يتوهمه قصار النظر بل لتوفية الاختيار حقه من السداد واهمل اشتراط الولي في جانب الرجال لامكان انحلالهم من ربقة النكاح بالطلاق وقد أدرك المضطلعون الراسخون في معرفة المقاصد الشرعية حكمة

حسن اختيار الازواج وحافظوا عليها بيد انهم اختلفوا في طريق الحفظ فاكثرهم أختار في سبيل حفظها اشتراط الولي لظواهر كثيرة ولهذا اخترنا بناء الكلام عليه وبعضهم اختار في طريق حفظها اعتبار الكفاءة فاذا حافظت المراة عليها فلا متكلم لوليها ولها مباشرة العقد واذا اهملتها وابرمت عقدة النكاح كان للولي نقض غزل هذا النكاح

الصداق

احتاطت الشريعة للمراة فاوجبت الصداق قال تعلى (وءاتوا النساء صدقاتهن نحلة) وذلك لمعان الاول ما فيه من استهداء نفسها وبذر محبة الرجل في قلبها والمحبة دعامة الالفة وجناح حسن العشرة واستمالة النفوس بالاحسان امر معروف ويشعر بهذا المعنى وصف الصدقات بانها نحلة الثاني ما في الصداق من ادخال السرور عليها باظهار الرغبة فيها حيث بذل الزوج في الاقتران بها المال الذي جبلت النفوس على حبه واظهار الرغبة في النساء له مكانته من نفوسهن وفي تحرج بعض امهات المؤمنين ممن عرضت نفسها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانكار بعض بنات الصحابة على من عرضت نفسها من النساء على بعض الفضلاء دليل بين على ذلك الثالث ما في الصداق من دواعي الانقياد الى سلطان الزوج ونفوذه الامر الذي يدعو الى التوافق بين الزوجين ويمكن الزوج من تقويم اعوجاج زوجه وصدها عما يغض من شرفها بتطرق الريبة لها كخروجها دون رضاه والاذن لمن يكره في الدخول الى بيته وقد وقع الافصاح بهذه الحكمة في قول الله تعلى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم) الرابع ما في الصداق من تثبيط الرجال عن الطلاق حتى لا يذهب عليهم ما اعطوه في سبيل الاستحصال على المراة سدى ويزيد الله الذين اهتدوا هدى

خادم العلم محمد العزيز جعيط

اعتذار

نتقدم للسادة الافاضل الذين وجهوا لنا اسئلة يتطلبون الاجابة عنها بأننا لم نغفلها وانما ضيق النطاق اوجب علينا تاخير الاجابة عنها وستقع الاجابة عنها بعون الله حسب ترتيب ورودها على ادارة المجلة في الاعداد المقبلة

الفتاوى والاحكام

حكم معاملة ارباب المعاصر لمالكي الزياتين وأقراضهم
شيئا من المال ثم استيفائه زيتا مع اجرة العصر

ورد على ادارة المجلة السؤال الاتي نصه :

قد جرت عادة ارباب معاصر الزيتون بغالب جهات المملكة بان يقرضوا شيئا من المال لمالكي الزياتين وهؤلاء يلتزمون بعصر غلة زياتينهم بماكيناتهم وبعد العصر يطرح بقيمة المال المقترض زيتا من المتحصل كما جرت العادة ايضا بان يقرضوا لطائفة من تجار حب الزيتون مقدارا من المال وفي مقابلة ذلك يكونون ملتزمين بعصر ما اشتروه من الحب في معصرة المقرض ومن متحصل الزيت يسترجعون مالهم الاصلي مع معين كراء العصر وفي بعض الاحيان يزيد المقترض من ماله الخاص في صورة ما اذا لم يوف متحصل الزيت بالخلاص وحيث ان ظاهر فقه هذه المسالة هو باب سلف جر نفعا فالمرغوب افتاؤنا في ذلك

وقد احلناه على فضيلة شيخ الاسلام المالكي ابقاه الله فاجاب عنه بما نصه :

ان هذه المعاملة على الوجه المذكور اذا وقعت عن رغبة من مالك غلة الزيتون سواء كان مالك الاصل او خضارا او تاجرا في الغلة لاحتياجه الى المال ليكمل به اعماله الفلاحية او التجارية فدفع له صاحب المعصرة (الماكينه) مالا واشترط عليه ان ياتيه بمتحصل الغلة سواء كان معين المقدار ام غير معين ليعصر في معصرة المقرض بالاجر المتعارف دون زيادة لاجل القرض فهذه المعاملة من قبيل القرض اي السلف وهي جعل غلة الزيتون توثقة لذلك القرض فيصير مسمى هذه المعاملة هو مسمى القرض برهن اذ العقود تعطى الاسماء الشرعية باعتبار المسميات والمواهي . وغلال الزيتون يجوز رهنها ولا يضر عدم تحقق المقدار المتحصل لان الغرر في الرهن مغتفر ولا يضر عدم حوزها في وقت القرض لان الرهن ينعقد ولو تأخر قبض المرهون فان الغلة لا

تحاز دفعة واحدة بل تجنى بعد النضج بطنا بعد بطن وحيث كانت غلة الزيتون انما تقصد لزيتها فالمقصود من التوثقة هو الزيت الحاصل من عصرها فلذلك لزم ان يكون عصر الغلة عند المقرض تحقيقا لمبادرة الحوز بقدر الامكان ثم ان محل النظر ومناط السؤال هو ما في هذه المعاملة من انجرار منفعة لصاحب المعصرة الذي هو المقرض وهي منفعة اجرة عصر ذلك الزيتون في معصرته فاذا نظرنا الى هذه الاجرة وجدنا المقترض لا مندوحة له عن دفعها سواء عصر في معصرة مقرضه ام في معصرة رجل آخر ولو قدرنا ان هذا المقترض لم يقترض ولم يرغب في عصر زيتونه وباعه حبا فلا شك انه يبيعه بثمن ناقص عن ثمن الزيت نقصا بنسبة ما يزاد في ثمن الزيت من مصاريف العصر والخزن وهذا أمر معلوم فهذه الاجرة من هذا الوجه غير مسببة عن القرض بل هي مسببة عن وجود غلة الزيتون وناشئة في ثمنها وكائنة فيه تقديرا فهي في هاته الحالة منفعة للمقرض لا مضرة فيها على المقترض ولم يتكلفها لاجل القرض

ثم انا نجدها راجعة الى المقترض في مقابلة عمل العصر ومصاريفه فالمقترض من هذه الجهة كواحد من الناس الذين يعصرون في تلك المعصرة فلم تبق فيها من فائدة للمقرض الا فائدة تحقق وجود مقادير من الزيتون لتشغيل معصرته ولو كلف المقرض ان يعصر زيتون المقترض بدون اجر لكان ذلك ضررا يدخل على المقرض لما تستدعيه المعاصر من النفقات واجور الخدامة فتبين من هذا ان في مثل هذه المعاملة منفعتين منفعة تنجر للمقترض وهي سهولة وجدان من يقرضه المال بدون اعنات ولا مراباة ولولا هذا الشرط لما وجد من يقرضه الا المرابين المفحشين فبهذه المعاملة تنجر له الارباح الناتجة عن عمل زيتونه ويسلم من مخالب المرابين ومن اثم المعاملات الربوية وهذه منفعة عظيمة للمقترض وفيها منفعة حاصلة للمقرض وهي وجدان ما يشغل به معصرته بانتظام وهذه منفعة ضعيفة في جانب المنفعة الحاصلة للمقترض لما تقدم من ان صاحب المعصرة لا يعدم من يعصر في معصرته بدون هذه المعاملة الا ان ذلك قد لا ينتظم او لا يطرد.

فصارت هذه المنفعة من منافع السلف المشتركة بين المقرض والمقترض واذا كانت المنفعة المنجرة عن السلف مشتركة بين المقرض والمقترض ففي المذهب المالكي خلاف

في جوازها واليه اشار ابن الحاجب في مختصره وخليل في شرحه المسمى بالتوضيح ولنذكر كلامهما ممزوجا المتن بالشرح قال (وشرطه - اي الغرض ان لا يجر منفعة للمغرض) سواء تمحضت للمقرض او اشترك فيها مع المقترض اعني ان تكون المنفعة لهما على السواء او منفعة المقرض اكثر واما اذا كانت منفعة المقترض اكثر فسيتكلم عليها - اي في قوله الآتي وفي سلف السائس ثم قال (وفي سلف السائس بالسالم في المسغبة والدقيق والكعك للحاج بدقيق في بلد بعينه قولان) المشهور المنع فيهما والشاذ لسحنون اي بالجواز وقيد اللخمي المشهور بما اذا لم يقم الدليل على ارادة نفع المتسلف فقط واما اذا قام ذلك فيجوز اه)

واصل المسالة في تبصرة اللخمي في باب بيوع الآجال ونصه « قال مالك في الحاج يتسلف الدقيق او السويق او الكعك يحتاج اليه ويقول اوفيكه بموضع كذا ببلد آخر لا خير فيه ولكن يتسلف ولا يشترط وقال سحنون في الحمديسية لا باس بذلك للحاج ونحوه للضرورة ولولا الشرط لم يسلفه وهو احسن اه وقصدهم من المنفعة المنجرة للمقرض في هاتين المسالتين هي منفعة اخذ السالم مع كون السلف سائسا ومنفعة قبض الطعام في البلد الذي يريده المقرض دون ان يقبله في حيث يشاء المقترض . ونحن اذا نظرنا الى ما تشتمل عليه هذه المعاملة نجدها ترجع الى اعتبار الحاجي القريب من الضروري فان خضارة غلة الزيتون تكثر حاجتهم الى اقتراض المال لاقامة خدماتهم واصحاب المعاصر بحاجة الى ايجاد الزيتون ليعصر في معاصرهم كل يوم لئلا تضيع نفقاتهم واجور عمال المعاصر في بعض الايام التي قد لا يجلب لهم فيها الزيتون فيئول بهم ذلك الى خسائر طائلة ولو حرم اصحاب المعاصر من هذه المعاملة لا عرض اكثرهم عن هاته الحرفة فيحل فيها غير المسلمين ويضطر اصحاب الزياتين الى التعامل منهم وتلحق من ذلك اضرار شديدة تخل بالحاجي من ثروة المسلمين لا حاجة الى التطويل ببيانها فانها لا تخفى ففي منعهم من هاته المعاملة ادخال اضرار عليهم وليس في المنع من هاته المعاملة منفعة لخضارة غلة الزياتين بل تدخل عليهم من منعها اضرار كثيرة فكانت هاته المعاملة منفعة عظيمة للمقترضين ومنفعة قليلة للمقرضين وفيها مصلحة عامة وهي

اعانة الناس على العمل وانتشال الخضارة من الاقتراضات الربويه ومراد سحنون بالضرورة الحاجة الاكيدة لظهور ان اسلاف الحاج الكعك والدقيق ليس من الضروري بالمعنى الاصولي الذي هو حفظ احد الكليات الخمسة لظهور ان الحاج لم ينحصر قوته في تلك المعاملة بل هو يرجع الى الحاجي ولو كان ضروريا بالمعنى المشهور لم يقع فيه خلاف ولذلك اعترض ابن عرفة في مختصره على ابي الطاهر ابن بشير حكاية الخلاف في اسلاف القمح السائس بالسالم في المسغبة قائلا لم يحك غير ابن بشير في المسغبة الا الجواز يعني لان المجاعة موجب الهلاك وعليه فسحنون اعتبر الحاجة فحكم بالجواز والغى انجرار المنفعة والقول المشهور نظر الى انجرار المنفعة من السلف ولم يعتبر الحاجة ومدرك سحنون اقوى ولذلك قال اللخمي ان قول سحنون احسن

فاذا تقرر هذا فقد جرى عمل الناس في هاته المعاملة اخذا واعطاء على خلاف المشهور بل على ما يجيزه سحنون فلو وقع التقاضي في بعض هذه المعاملات لحكمنا بفسخها على المشهور واما في غير مقام التقاضي فلا ينبغي التعرض للناس بابطالها لما تكررت به فتوى ابي سعيد ابن لب ان ما جرى عليه عمل الناس وتقادم في عرفهم وعاداتهم ينبغي ان يلتمس له مخرج شرعي على ما امكن من وفاق او خلاف اذ لا يلزم ارتباط العمل بمذهب معين او بمشهور من قول قائل ولما حكاه المواق عن شيخه ابن سراج انه اذا جرت عادة الناس بشيء ولم يكن متفقا على تحريمه فليتركهم المرء وما هم عليه وليفعل في نفسه ما هو الصواب عنده ووجه ذلك ان حمل الناس على ابطال ما عملوا به يرجع الى قاعدة تغيير المنكر وشرط تغيير المنكر ان يكون الفعل مجمعا على انكاره بين علماء الامة فاذا كان عمل الناس جاريا على قول عالم معتبر فلا يتعرض لهم فيه بالابطال افتيت بذلك وانا محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي في رمضان وفي نوفانبر عام ١٣٥٥-١٩٣٦



الاعلام بفضل العرب في الجاهلية والاسلام

بقلم العالم الاديب البارع الشيخ علي النيفر
المدرس من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة



الشواهد الشرعية على فضل العرب في الاسلام

اما شواهد فضل من آزروا منهم النبيء صلى الله عليه وسلم في ابلاغ الدعوة وسبقوا الى الايمان به وباعوا انفسهم لاعلاء كلمة الله من المهاجرين والانصار فهو من حديث البحر . لا ياتي عليه عد ولا حصر ولنذكر بعضها بايجاز : فمنها في سورة الفتح قوله تعالى « محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » ومنها في سورة الاعراف « وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون » قال المفسرون : هم امة محمد صلى الله عليه وسلم كما في الحديث وصدر الامة عرب خلص وفي سورة التوبة « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله اولئك هم الفائزون » وفي سورة التوبة ايضا « لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون » وفي سورة آل عمران « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » قال المفسرون : الخطاب لامة محمد اي كنتم في علم الله . وفي سورة الحشر « للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون والذين تبؤوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في نفوسهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » وفي صحيح الامام البخاري من طريق سفيان عنه عليه الصلاة والسلام « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وفيه ايضا من طريق شعبة قال صلى الله عليه وسلم ولا تسبوا اصحابي فلو ان احدكم انفق مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وفي الشفاء للقاضي عياض احاديث كثيرة تنادي بفضل اصحابه عليه الصلاة والسلام ووعيد من تنقصهم او آذاهم نشير الى بعضها

فمنها ما رواه القاضي ابو الفضل باسناده عن عبد الله بن مغفل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ومنْ آذى الله يوشك ان ياخذه

ومنها لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في آخر الزمان يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم »

ومنها من سب اصحابي فاضربوه . ومنها ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نذر قطع لسان ابنه عبيد الله اذ شتم المقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب النبيء صلى الله عليه وسلم . وقال مالك رضي الله عنه : من انتقص احدا من اصحاب النبيء صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال « للفقراء المهاجرين » ثم قال « والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم » وهؤلاء الانصار ثم قال « والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان » فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين اه

هذه لمحة يسيرة مما نطقت به الشريعة المطهرة في شأن فضل العرب عموما وفضل السابقين الى الاسلام منهم الذابين عنه الناشرين لدعوته في الآفاق خصوصا

الشواهد التاريخية الناطقة بفضل الامة العربية جاهلية واسلاما

الامة العربية في جاهليتها - كانت العرب في الجاهلية لهم عادات محمودة واخلاق فاضلة من الكرم والشجاعة والفروسية والوفاء والصدق وحماية الجار والذود عن العرض وعزة النفس واباية الضيم والشهامة وجودة الذهن وقوة العارضة والفصاحة والبلاغة فكانت السنتهم اتم بيانا وتمييزا للمعاني وهم وان كانوا امة امية الا ان ما وصل الينا من منظومهم ومنثورهم ربما فاقوا به غيرهم من الامم . قال بعض العلماء في العرب اربع لم يساوهم فيها سواهم . الحمية - والحماية - والكرم - والشجاعة اه وفي العقد الفريد عن ابن الكلبي كانت في العرب خاصة عشر خصال لم تكن في امة من الامم خمس منها في الرأس وخمس في الجسد فاما التي في الرأس فالفرق والسواك والمضمضة والاستنثار وقص الشارب . وأما التي في الجسد فتقليم الاظافر ونتف الابط وحلق العانة والختان والاستنجاء . وكانت في العرب خاصة القيافة لم يكن في جميع الامم احد ينظر الى رجلين احدهما قصير والآخر طويل او احدهما اسود والاخر ابيض فيقول هذا القصير ابن هذا الطويل وهذا الاسود ابن هذا الابيض الا في العرب اه وفي العقد الفريد ايضا عن ابي العيناء الهاشمي ما نصه باختصار : ان ابن المقفع

اجتمع بثلة من اشراف العرب فسالهم اي الامم اعقل فبعد ترديدهم الجواب بما لم يصيبوا به شاكلة الصواب قال لهم : اعقل الامم العرب فضحكوا فقال ابن المقفع : أما أني ما اردت موافقتكم ولكن اذ فاتني حظي من النسبة فلا يفوتني حظي من المعرفة ان العرب حكمت على غير مثال مثل لها ولا آثار اثرت اصحاب ابل وغنم وسكان شعر وادم يجود احدهم بقوته . ويتفضل بمجهوده ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة . ويفعله فيصير حجة . ويحسن ما شاء فيحسن . ويقبح ما شاء فيقبح . ادبتهم انفسهم . ورفعتهم هممهم واعلتهم قلوبهم والسنتهم . فلم يزالوا كذلك حتى رفع الله لهم الفخر . وبلغ بهم اشرف الذكر . وختم لهم بملكهم الدنيا على الدهر . وافتتح بهم دينه وخلافته الى الحشر . فمن وضع حقهم خسر . ومن انكر فضلهم خصم . ودفع الحق باللسان اكتب للجنان اه

ويذكرني ما قاله ابن المقفع بمفاخرة النعمان بن المنذر امام كسرى بمحضر وفود الامم قال النعمان ما خلاصته : اما الامم فأي امة تقرنها بالعرب الا فضلتها العرب قال كسرى: بماذا قال النعمان بعزها ومنعتها وحسن وجوهها وبأسها وسخائها وحكم السنتها وشدة عقولها وانفتها ووفائها ثم افاض النعمان في اقامة البرهان على كل واحدة من هذه الخصال التي تحلت بها العرب ولما انتهى من مفاخرته عجب كسرى لما اجابه النعمان به وقال : انك اهل لموضعك من الرئاسة في اهل اقليمك ولما هو افضل ثم كساهم من كسوته اه

العرب بعد ظهور الاسلام

لا نريد ان نطيل ذيل الكلام بالاكثار من اقامة البراهين التاريخية على فضل العرب في عصور الاسلام فذلك مما اقر به المنصفون ولا ينكره الا جاهل او مأفون .

وليس يصح في الاذهان شيء ... متى احتاج النهار الى دليل

وكتب التاريخ الاسلامية قد تكفلت بهذا الغرض وادت منه الواجب المفترض بل قد اشاد بفضل العرب الاسلاميين من الاجانب من تحلى بحلية الانصاف ولم يركب متن التعصب والاعتساف ولو أردنا التوسع بجلب شواهد ذلك لضاق بنا المجال ولكل مقام مقال . لكننا نلمح الى بعض ذلك موجزا فنقول بعث الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس كافة وامم العالم اذ ذاك في غيهم يعمهون وفي اودية ضلالهم يتيهون ما قدروا الله حق قدره ولا انصفوا خلقه فكان القوي يأكل الضعيف والمشروف يستعبده الشريف حالهم اسوء حال ومآلها الخزي والنكال . فكان عليه الصلاة والسلام منقذهم من هوة الهلاك بدينه القويم الهادي الى الصراط المستقيم هداهم الى الايمان بالله الخالص من الشوائب وسوى بينهم في الحقوق وامنهم المعاطب . ثم انتقل صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى

الاسلام منقذ البشريـة

ومركبها الى شاطيء النجاة

بقلم الحقوقي البارع الاستاذ المهدي بن الناصر المحامي بتونس

تمهيـد

مبحث صعب المسالك ، ملتوي المنحدرات ، خطر المزالـق ، متشعب المناهج شائك الوهـاد وناتي الشعاب ، غاباته مـأسودة واكمامه مفهودة ، ما جرّأني على طرق بـابه واقتحام صعابه وولوج افنيته وتخطـي عرصـاته وانا الاعزل من سلاح الوقـاية الا ما يملؤني املا وطيدا من نجدة رجال النهضة الزيتونية اذا ما اخذت في اطرافه بالخناق وفي مقدمتهم قـواد عرمرمها الجحفل حاملو الويتها الخفاقة المعقـودة بنواصيها بواتر الهمم الشماء وباعاليها العزائم الفولاذيه من شيوخي الاعلام واخواني النبغاء (عمد المجلة الزيتونية الفيحاء) نواة النهوض الافريقي الاسلامي العاملة على تبيان اصوله ونشر مباديه السامية في القـارات العالميه . رسالة التبشير الزيتـوني الى اطراف المعمـور . اشرقت شمسها الوضاءة بعد ان ركد المعهد عهودا ونام آمادا ، تنير الغياهب وتعمل لاعلاء الكلمة .

قرير العين باتمام نور الاسلام ودخول الناس في حظيرته افواجا . فقام باعباء نصرة هذا الدين ومهمة نشره بين مختلف الامم من عرب وعجم خلفه من اصحابه رضوان الله عنهم وهم كما علمت عرب خلص فجابوا البلاد فاتحين هادين للامم مرشدين وكفى بذلك فضلا

قال الوالد نعمه الله في تاريخه حسن البيان ما نصه : ان العرب دخلوا البـلاد التي فتحوها بالقرآن في الحقائب وجاءوا معهم بالعدل والحرية جاءوا بالمدنية الحقيقية جاءوا بالعلوم والمعارف فهم وان حملوا معهم القرآن يستضيئون بنوره في المدلهمات لكن لم يكرهوا احدا على الاخذ به بل اوكلوا الامم الى ما اختاروا من النحل وحفظوا عليهم مع ذلك بعد حط اوزار الحرب اموالهم واغراضهم وقاتلوا عدوهم دونهم وحاطوهم بسياج حفظوا به ابناءهم وحرمهم ولم ينقضوا عهدهم بطول الامد ولم يمنعوهم علما ولا حظروا عليهم صناعة ولا فكروا في مضايقتهم في متجر بل اوصلوا اليهم العلوم مهذبة سهلة ومهدوا لهم طرق المعارف والصناعات وسبـل المعايش والتجارات والشـاهد كالشمس في رابعة النهار اه

ولنقتصر في بيان فضل العرب على هذا المقدار ففيه مقنع والله الموفق — علي النيفر

فمرحى يا رسالة النور وموقظة الهمم . يا كوكب الاسلام المشرق من كعبة هي كل الآمال ومطمح الانظار . وان كنت في بزوغك اليوم هلالا فستصبحين بفضل عزائم ابطالك الغر الميامين بدرا يتلألأ في افق النهضة كاملا ينير من الارجاء ما ادلهم ويبين من المناهج ما ابهم ومن الاتجاهات ما تبلبل .

فكاني ولسان حال اسرتك ينادي بالصوت عاليا « هلموا يا رجال العلم الي خير عمل . فعفوا اعالي المنبر العام وادوا الرسالة . استيقظوا من السبات العميق والنوم الطويل وادوا الامانة » .

عزيز علينا وايم الله ما نحن عليه اشبال الكلية وضراغمها من ضعف الانتاج ووهن العزائم كان قد لجمنا بالجمة الركود السرمدي وختم على افئدتنا بطابع الجمود النحس وغاض منا معين التفكير وبترمنا اليراع . عقوقاً واشئم به من عقوق للمعهد ثالث معاهد العالم الاسلامي الكبرى وازراء وابشع به من ازراء لقيمته امام الغرب والشرق أيخفت صوته وصوت الازهر عاليا ؟ ويتضاءل نوره ونور الازهر لألاء ؟ وينكس علمه ولواء الازهر مرفوع ؟ أيطمس نور الاسلام الابهر بديارنا ونحن عصبة تتغذى من مباديه السامية من نعومة الاظفار الى الكهولة الشامخة والشيخوخة الرصينة بين تلك العرصات الشيقة نقضي على انوار الشمس وأشعة الكهرباء السنين الطوال ثم ما نتخرج منها الا مدفوعين من انفسنا الى زوايا الخمود عوض ان نشق لانفسنا طريقا وضاء في عالم الحياة الزاخرة بانوار العلم نتخذ منها لعليائنا مستوى كان ما نتلقاه من علوم الدين عبادات وتوحيد ومبادي اجتماعية واخلاق سامية وتعاليم عالية مستمدة الروح من آي الفرقان الحكيم والسنن السنية والحديث الشريف . ومن معاملات وحالة شخصية يقف حيال اصولها والفروع ما انتجه الفكر البشري من الاوضاع التشريعية خانعا ومتسربلا بالوهن وتتضاءل دون مبناه الازلي الثابت ما تتمخض عنه يوميا تبديلا وتغييرا افكار فطاحلة التشريع العصري . كان ذلك وما ذلك بالامر الهين . مبادي عديمة القيمة والصلوحية لهذا العصر الملقب بعصر النور . كانها مبادي لا تتفق وعصر المادة النير المحلق بمنطاده في دوائر الكواكب السيارة والخارق كالسهم بغواصاته ظلمات المحيط . كانها تعاليم جدير بصوتها ان يخفت ويختنق بدائرة تلك العرصات الضيقة لا ان تصدم تموجاتها الجبارة في سمو واعجاز وحكمة بالغة صفحة المذياع العالمي . تالله ان هذا وذا وذاك الاوهم متغلغل في معاني البطلان

فهذا العصر على ما هو عليه من التقدم المادي قد غشيه من يم المادة ما غشيه فذهب منه باللب الخلقي العام والخاص « اخلاق الفرد واخلاق الجماعة » وترامت به تياراتها الى اماد بعيدة عن الروح الانسانية المحضة فاصبح هيكلا حديديا من غير روح تتقاذفه امواج المادة العتيدة لترمي به الي محيط الانحلال بعد إن اختل منه مركز التوازن الخلقي وانهد من حصانته ذلك السد الذي جعلته السنن الالاهية حائلا دون طغيان المادة ومعدلا لمفاعيلها الطاغية الا وهو الدين الاقوم .

وقد تراءت هذه النتيجة السيئة والظاهرة النحسة والهاوية الفاغرة فاها لرجال الفلسفة الاخلاقية عند ما اخذتهم رجة انهيار صرح الاخلاق فاعلنوا بالصيحة من كل جانب ومكان

ولو كان سهما واحدا لا تقيته ولكنه سهم وثان وثالث

ان معاول المادة الحادة عند ما هدمت الركن الخلقي وقوضت في صرامة أس الاسرة رمت الروابط الاجتماعية او اخلاق الجماعة بنبال سامة من المبادي السياسية المتشاكسة الحدود والمتباينة الاشكال والمتضاربة المنافع والمتناكدة الغايات واتسع نطاقها وتصادمت اهواءها على حساب المجتمع التعس وتسربت سمومها من خلايا مبتكريها الى افكار القادة وتحكمت بقيادة اعنة الساسة ومنهم عم عميمها الى السواد الاعمى فضربت الفوضى الاجتماعية مضاربها ولولا أسنة ونار تحميها وقذائف محرقة تدافع عنها لانفجرت براكينها فحرقت شظاياها العالم المادي الكدر وتبعا للنواميس الطبيعية لابد للبركان ان ينفجر وما انفجاره عنا ببيعد اذ كلما نصبح نسمع له زفيرا وكلما نمسي نحس من رجاته زلزالا .

فالبولشفيكية بنت على اطلال ما نسفته من قصور القياصرة واشراف الاقطاع مذهباً يجعل الملكية العامة نهباً للسواد والحالة الشخصية من غير روابط تربط الفرع بالاصل ويقابلها في ركن التطرف الفاشيسم وندّه النازي يجعلان التصرف في الملكية العامة وتسيير دولاب حياة الجموع بيد الفرد المطلق وتقف موقف الاعتدال بينهما الاشتراكية وعن هذه تتفرع فروع تتوافق مبدا وتتخالف مسلكا ومشربا .

فهذه النزعات المتصادمة جوهريا هي المكونة لوحدات شظايا الاتون الاروبي - (قلب العالم المتفرعة منه اليه شرايين الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية) - فهو بركان ان تزلزل زلزل ما حوله وان اندك الهبت ذراته ستائر ما ارتبط به - وقى الله العالم من القارعة العظمى - (وما كارثة اسبانيا الا نقطة تصادم مذهبين من هذه المذاهب الدنسة)

فالعالم الغربي بانغماسه في حمأة المادة واتخاذه عجل الذهب معبودا قد امات منه هذا الاتجاه الكلي الناحية الخلقية العامة والخاصة وبما ان الاخلاق السامية في الامم تحتل مكان الروح من الجسد فاذا ما تخدرت الروح وانحلت اصبح الجسم يعمل عمل المجانين ومن اقرب ما يصدر من المجنون بعدان يهدم ما حوله ان يلوي على اوصاله فيقطعها ثم ينتحر

فهذا العالم الذي بهرتنا منه انوار المادة بعد ان تدهورنا من ناحيتها واخلدنا الى السكون وقعدت بنا الهمم عن مجاراته ونحن في حماية العروة الوثقى « الاسلام » ووقاية تعاليم الشريعة السمحة (المحمدية) بحيث كنا لا نخشى من مفاعليها تاثيرا ما بل كنا نذللها ونكسر منها الشوكة فنبلغ منها الى



ومبلغ عناية الشارع بها

ان امر الاخلاق في بناء صرح مجد الامم عجيب اذ عليها مدار عظمة الامة او حقارتها وبها وحدها يقاس شانها بين الامم .

اخلاق الامة نبراس كمالها ومعدن حيويتها وعلى الاخلاق تدور رحاها ولله در شاعر الكنانة في قوله :

وانما الامم الاخلاق ما بقيت فان هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وعلى هذا الاساس المتين والركن الركين بنى سيدنا الاعظم ورسولنا الاكرم ما جاء به من حكمة وتشريع كما يرشد اليه قوله (بعثت لاتمم مكارم الاخلاق)

ولا جرم فان من نظر نظرة جامعة في اصول الشريعة وفروعها وجدها تدور حول هذا المحور فهو قطب دائرتها وسر عظمتها الذي به دوامها وكونها الشريعة التي لا يعتريها نسخ ولا

اوج الكمال وقد سبق ان بلغته منها اسلافنا في عصمة بالدين القويم منها وأنارت به العالم النير منها اليوم عند ما كان يسبح في خضم ديجور الجهالة لكننا رسبنا ونحمد الله ان كان معنا الدين وان ضئيلا وتقدم هو في ميدان المادة لكن بدون حصانة دينية (كالاسلام عقيدة ودستورا) لذا طحنته فرزح تحت كلكلها مصعوقا ومجروفا الى هاوية لا يدري لها قرارا

فهذه الظاهرة المردية دفعت باركان حرب التفكير الغربي الى التعمق في الدرس والفحص والتحليل بمعامل الفلسفة الاجتماعية لاختراع ادوية ناجعة لتلقيح العناصر الغربية من مصلات اخلاق سامية لحصانتها من وباء تدهور الاخلاق وليد بؤر المادة الموبوءة ودفعت برؤساء الامم وكبار الناشئة الى تاسيس جمعية امية يكون لها القول الفصل فيما تتصادم فيه منافعها فكانت جمعية جنيف وكانت هيكلا بدون روح لفقدان الرابطة العامة بين افرادها تلك الرابطة الروحية الا وهي الدين الاقوم .

(يتبع) محمد المهدي بن الناصر

تبديل ولو اردنا في هذه العجالة سرد ما جاء في الشريعة من نصوص تدل على اعتبار هذا الاصل الاصيل لضاق بنا نطاق هذا الجزء دون استيفائها ولنكتف هنا بالآية الجامعة لاصول مكارم الشيم وذروة سنامها فان فيها وحدها ما فيه لاولى الالباب عبرة وذكرى وما يعقلها الا العالمون قال تعالى « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون » فان من وقف عند حدود هذه الآية وارتاضت نفسه بفهم معانيها علم لا محالة مقدار ارتباط الاخلاق بلب التشريع الاسلامي حتى ارجعت هذه الآية ما يامر به الشارع الى اصول الخير الثلاثة العدل والاحسان وايتاء ذي القربى وما ينهي عنه الى اصول الشر الفواحش والبغي والمنكر ولا شك ان الاوامر والنواهي ترجع اليهما جميع فصول الشريعة الاسلامية وتنتهي اليهما احكام الملة المحمدية ، لقد نوهت شريعتنا السمحة بامر الخلق الحسن ووضعته بالمكان اللائق به من عنايتها لذا ترى في نصوص الشريعة ما يفيد ان تكوين الاخلاق الطاهرة وبث التربية الصحيحة بين افراد الامة الاسلامية هو الهدف الذي ترمى اليه يظهر ذلك جليا بتتبع موارد الشريعة واستقصاء ابوابها سواء في ذلك ماكان متعلقا بالعقائد أو كان متعلقا بالعبادات او كان متعلقا بانواع المعاملات ماكان من ذلك راجعا لنظام الفرد او لنظام الاسرة او لنظام المجتمع الاسلامي التي حرصت على تنظيم علاقاته على اساس الفضيلة والكمال. وسنتولى ان شاء الله درس ذلك وتتبع علاقات فصول الشريعة بالاخلاق وكونها الاساس الذي انبنى عليه التشريع والروح المرادة منه. في باب العقائد دعت الى عقيدة ثابتة تتحرر معها العقول من قيود التقليد الاعمى وتتخلص بها النفس الانسانية من اثقال دعت اليها عادات قديمة سيئة او اغراض انتفاعية يتحمل المجموع شرها لنفع فرد او قبيلة . دعت الكل للتخلص من داء الوساطة المعنوية واعتبار الشخص نفسه احقر من ان يواجه ربه ومولاه . بشخصه ومعناه. فهو لا يعبأ به ولا يسمع نداءه ما لم يتوجه اليه بمقرب اليه او وجيه عنده فنشأت عن ذلك بتطاول الازمان عقيدة الشرك والوثنية وانحطت بسببها امم الى دركات الجهل والهوان حتى كادت تلحق باحقر انواع الحيوان والحال ان الله قد فضل هذا النوع من المخلوقات بالعقل الذي به تحمل من الامانة ما عجز عن تحمله الارض والسموات . فجعلت العبد اهلا بذاته الى ان يتقدم الى ربه يسأل حاجاته ولا يحتاج الى من يقربه اليه زلفى وانما جعلت لذلك شرطا وهو الاخلاص في التوجه وتطهير النفس من ادران الشرك وملاحظة المنافع الشخصية قال تعالى « ادعوني استجب لكم » وقال (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) وجعلت قضاء الاشياء وتدبيرها بيده وحده ليس له عليه معين او وزير بيده الامر وهو على كل شيء قدير وانما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون . فقررت بذلك اصلا من اصول الاستقلال الفردي والاعتماد على النفس وفي ذلك تقرير لخلق العزة وما

ادراك ما العزة . العزة هي الشعور بالاستغناء عن الخلق وان ليس لأحد حق التعاظم عليك واستصغارك لانك في حاجة اليه وقد وصف الله تعالى نفسه ووصف رسوله وعباده المؤمنين بهذا الوصف العظيم تنويها بشأنه وتذكيرا لعباده قال تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون) وقد كان هذا حال المؤمنين الاولين وبه نشروا علم الاسلام خفاقا على اقطار المعمور وبانعدام هذا الوصف منهم صغروا وضعف شأنهم بين الامم وصاروا عبيدا اذلاء بعد ان كانوا ملوكا اعزاء . كما نشأت عن هذه العقيدة الخالدة معنى استواء الخلق امام عظمة الخالق وان ليس لاحد على آخر حق الافضلية بغير التقوى والعمل النافع المفيد وان الجميع امام الحق سواء ومن اكبر مظاهر هذا الاستواء المسلمون وهم في المسجد يؤدون فريضة الصلاة او في مكة يحجون البيت الحرام . افتجد فيهم فاضلا ومفضولا ولا غرو فقد جعل الله المؤمنين اخوة لا تفاوت بينهم الا بقدر ما يتفاضلون به من الحق فلقد قال عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع : ايها الناس انما المؤمنون اخوة ان ربكم واحد وان اباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب ان اكرمكم عند الله اتقاكم ليس لعربي فضل على عجمي الا بالتقوى : وقد روي عن ابن عباس ان احد الموالي خطب الى جماعة من بني بياضة . واشار عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم بتزويجه فقالوا له : يا رسول الله انزوج بناتنا موالينا فنزل قوله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم ان الله عليم خبير)

فتقرر بذلك مبدأ المساواة العامة وبطلت الحواجز العنصرية والفوارق الارستقراطية والاعتبارات الطائفية من كل ما من شأنه تفكيك اجزاء الامة الواحدة وجعلها امما صغيرة تعمل كل واحدة منها فناء امتها الكبيرة وفي فناء هذه قضاء على الجميع لو كانوا يعقلون والتاريخ شاهد عدل على ما ذكرنا . وقد جرى سلفنا على هذا المبدأ الرشيد الذي ملكوا به امرة العالم مدة قرون وفي سيرة امير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في رعيته ما فيه لاولى الالباب عبرة وذكرى فكان اذا امر بشيء او نهى عنه بدأ ذلك باهله فجمعهم وقال لهم : اني نهيت عن كذا وكذا وان الناس ينظرون اليكم نظر الطير واقسم بالله لا اجد احدا منكم فعله الا ضاعفت عليه العقوبة قال الطبري ج ٥ ص ٢١ (وهو يقصد بذلك ان الناس اذا رأت من اهل الامير وحاشيته تهاونا في امر اقتدوا بهم وامعنوا في الاستهتار به) وكان رضي الله عنه يفتح صدره لاي شكاية في احد عماله ويعلن ذلك لعامة المسلمين في خطبه . روى الطبري ج ٥ ص ٢٠ انه خطب الناس يوما فقال : ايها الناس اني والله ما ارسل اليكم عمالا ليضربوا ابشاركم (جلودكم) ولا لياخذوا اعشاركم (اموالكم) ولكن ارسلهم ليعلموكم دينكم وسنتكم فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الي فوالذي نفس عمر بيده لاقصنه منه) فوثب عمرو بن العاص اذ ذاك بعد هذا التصريح الخطير الذي اعلنه عمر على عامة الشعب وجمهوره . وقال : ارأيتك

يا أمير المؤمنين ان كان رجل من امراء للمسلمين على رعية فادب بعض رعيته انك لتقصنه . قال عمر : اي والذي نفس عمر بيده اذا لاقصنه وكيف لا اقصه منه وقد رايت رسـول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ثم بين لعمرو ما يخشاه على الرعية من عنف الامراء وظلم الولاة فقال : الا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ولا تجمروهم (اي لا تتركوا الجنود في مواقفهم ازاء العدو امدا طويلا) فتفتنوهم ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم. ولن يغيب عن القارىء الكريم ما فعله عمر بولد عمرو بن العاص وجبلة بن الايهم حين حكم بالقصاص من كل واحد منهما لواحد من السوقة . وكذا في قول ابي بكر وهو على منبر الخلافة في خطبته القصيرة الجامعة التي اعلن فيها سياسته التي عول على انتهاجها (ايها الناس اني قد وليت عليكم ولست بخيركم فان احسنت فاعينوني وان اسأت فقوموني الصدق امانة والكذب خيانة والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له ان شاء الله والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ولا تشيع الفاحشة في قوم قط الاعمهم الله بالبلاء اطيعوني ما اطعت الله ورسوله فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم . قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله »

كما ان في سيرة المشرع الاعظم صلى الله عليه وسلم الذي هو القدوة العظمى والمثل الاعلى للكمال الانساني ما يبعث الدهشة ويحيي في النفوس معنى الانتباه واليقظة للاخذ بهذا المبدإ الانساني العظيم فقد بعث عليه السلام في قوم تأصل في نفوسهم مبدأ التفاخر بالانساب والاعتماد على فضل الآباء والاجداد مع اعتبار العصبية القبلية والدعوة بها للنصرة الحزبية فابطل عليه السلام ذلك وشدد النكير على من دعا بدعوى الجاهلية قال عليه السلام :

اذا رايتم الرجل يتعزى بعزاء الجاهلية فاعضوه بهن ابيه ولا تكنوا اخرجه السيوطي في الجامع الصغير عن الامام احمد وكذا في سنن النساءي فتوحدت بذلك صفوف الامة العربية وتهيأت لما اعدها له المصلح الاكبر من زعامة الامم ودعوتها للدخول في بودقة الاسلام الخالدة ولم يتم ذلك الا بازالة الفوارق الجنسية واعتبار كل من يدخل في الدين عضوا من الامة له حقوقه وعليه واجباته في الجامعة الاسلامية والكل امام الحق والواجب سواء وان شئت ان تلمس بيدك هذه الحقيقة العالية في نصوص الشريعة الغراء فدونك قوله عليه السلام المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد على من سواهم » وليس ادل على تكوين وحدة الامة وقوتها بالاجتماع والتكاتف والبعد عن اسباب الشقاق والتنافر من قوله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » وقوله عليه السلام: المسلم للمسلم كالبنيان يشد

بعضه بعضا وقوله: المسلمون كاعضاء الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر و الحمى فانظر يا رعاك الله الى هذه الاسس الثابتة والاركان القائمة التي شيدها المشرع الاعظم لبناء دولة الامة الاسلامية على امتن الدعائم وارفع القوائم بما يضمن لها الدوام والانتشار ويرفعها لدست الزعامة وما هو مبلغ عنايتنا بها وتمسكنا بروحها وقايس بين المسلمين اليوم وما كان عليه سلفنا وكيف استقاموا وانحر فناو جروا في الطريق الذي عبده لهم رسولهم ونحن تنكبنا فبلغوا ما املوا وتزعموا حتى دانت لهم رقاب الجبابرة وخضعت اما عزتهم رؤوس الاكاسرة وبلغ من امرهم ان صاروا هداة معلمين ورؤساء مدبرين . ملكوا من اقطار الارض ما تقاصرت عن البلوغ اليه اكبر دولة اروبية اليوم وذلك مصداق قوله تعالى « وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا الآية) ونحن فرطنا واضعنا وبعدنا عن الوقوف مع مايراد منا فاهملنا التمسك بروح شريعتنا الطاهرة والزمنا انفسنا بتتبع القشور والظواهر وحسبنا ان ذلك هو المقصد الاسمى وغاية معاني التقوى . ولا احسبني مبالغا في شيء مما ذكرت وحال المسلمين في سائر اقطار الارض، على ما شاهدت وليعذرني القارىء الكريم فيما طوح به القلم فان حالتنا الاسيفة مدعاة لبث الشكوى وابداء ما تتحمله النفس من حر الالم وفي الاعداد المقبلة نعود لتتميم ما شرعنا فيه من بحث الاخلاق ومبلغ ارتباطها بابواب التشريع الاسلامي ان شاء الله

محمد الهادي ابن القاضي

من المجلة الى قرائها

بهذا العدد قد تم للمجلة الزيتونية اربعة اشهر • عملت في اثنائها هيئة المجلة ما راته صالحا بمشروعها موافقا لمشربها الذي اسست من اجله ولكن المجلة لا تريد ان تكون بمعزل عن قرائها بل ترغب رغبة اكيدة في الاطلاع على افكارهم نحوها • والاستمداد ببعض ارشادات تظهر لهم مما قد تكون المجلة غفلت عنه

لذلك فهي ترغب من عموم قرائها ان يلاحظوا لها ما يعن لهم من الآراء المفيدة حتى تسعى جهدها لتحقيق مطالبهم واجابة مقترحاتهم هذا وقد اقترح علينا بعض القراء من اهل العلم والفضل ان ننشر بعض خطب جمعية من الخطب التي يهم نشرها بين عموم الناس • ونحن تنفيذا لهذا الاقتراح سننشر ذلك مهما سنحت الفرصة واتسع النطاق •

التاريخ

صحيفة من تاريخ تونس

كرسي الملك الحسيني

كيف كانت نشاته - وتطوراته حول العصور

بقلم العالم المؤرخ السيد محمد ابن الخوجه
المستشار لدى الحكومة التونسية

اعلم ان كرسي الملك ويطلق عليه لفظ تخت واريكة وسرير وغير ذلك سنة قديمة من سنن الملوك قبل الاسلام ناهيك ان سليمان صلوات الله عليه كان له كرسي من عاج مغشى بالذهب يجلس عليه وكان عمرو بن العاص يجلس بقصره مع العرب وياتيه المقوقس عظيم القبط ومعه سرير من ذهب محمول على الايدي لجلوسه شان الملوك فيجلس عليه وهو امامه قال ولي الدين ابن خلدون ولا يغيرون عليه في ذلك وفاء له بما عقد معهم من الذمة واول من اتخذ اريكة في الاسلام معاوية بن ابي سفيان واقتدى به الخلفاء والملوك والسلاطين من بعده وعلى قياسهم كان عمل ملوك تونس ومنهم بنو الاغلب وبنو حفص الا انهم كانوا اقرب الى البساطة منها الى الفخامة والظهور فقد كان الامراء من بني الاغلب يجلسون على مصطبة موقعها فوق صهاريج اختزان الارزاق من حنطة وشعير وغير ذلك ومنه جاء لفظ المخزن في الاصطلاح الدولي بتونس وكان بنو حفص يجلسون على البسط واتخذ بعضهم لنفسه تاجا كان يظهر به بين الناس وهو راكب بغلا هكذا حكاه في المونس وقد اثبت التاريخ انه كان للسلطان محمد بن الحسن في ءاخر دولتهم كرسي خاص بجلوسه للحكم بالقصبة شاركه في الجلوس عليه الحاكم الاسباني فكان هذا يجلس يوما والسلطان يوما وابتدأ ظهور فخامة الملك بابهته الشرقية في عهد الدولة التركية فقد كان لديهم في جملة الانظمة التي سنوها بتونس بعد الفتح العثماني في سنة ٩٨١ كرسي خاص بجلوس الباشا بقصر باردو وءاخر لجلوس ءاغة القصبة بل كانت لديهم في الجملة سبعة كراسي اشتهرت بهامدينة تونس بين العامة في قولهم « بلاد السبعة كراسي » منها كرسي الداي بديوان دار الشريعة المطهرة وهذا الكرسي امسى شاغرا من عهد وفاة كشك محمد آخر دايات تونس لقبه المشير احمد باي الاول بوزير التنفيذ لتجريده عن الصبغة الملكية التي كانت بخطة الداي متلبسة والكراسي

المذكورة هي كرسي الباي وكرسي الداي وكرسي الباشا وكرسي آغة الكرسي وكرسي آغة القصبة وكرسي كاهية دار الباشا وكرسي اغة وجق الحوانب هكذا ذكرها بعض المعمرين من شيوخ الجيل الفائت

وقد اتفق لهم تربع بعضهم على جملة تلك الكراسي في وقت واحد كالامير ابراهيم الشريف قتيل غار الملح فانه كان باشا باي داي ترى ذلك عيانا بالوقوف على عبارة منقوشة فوق سبيل له يعرف بعين بيطار على مقربة من مدينة بنزرت ونصها: (الحمد لله امر السيد الامير الباشا الداي الباي ابراهيم الشريف باحياء هذه العين واجرائها احتسابا لله تعلى سنة خمس عشرة ومائة والف اهـ اما ءال البيت الحسيني خلد الله بقاءهم فاول من اتخذ منهم كرسيا فخماً لجلوسه بباردو هو الباشا علي بن محمد الاول المتوفى سنة ١١٦٩ قال الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف من آثار هذا الباشا محكمة باردو وقد تانق في بنائها وجعل فيها كرسيا كسرويا يشعر بالعظمة فلما خلفه في الملك ابن عمه محمد الرشيد باي(١) ازاله بدعوى انه من شعار الكبر واقام مكانه بمحكمة باردو كرسيا بسيطا من عود الجوز وصنع البلاد وجلس عليه مدة حياته ثم اخوه من بعده واعقابهما حتى الباي العاشر وفي ايام الباي علي الثاني بن حسين بن علي لفظ البحر حوتا عظيما من السمك المسمى حوت العنبر بشاطي عوينة الساحلين من عمل الساحل فاخذوا سنه وحملوه للباي فصنع منه كرسيا ملكيا لجلوسه وما زال هذا الكرسي قائم الذات حتى الآن بسراية المرسى القديمة واما كرسي محمد الرشيد باي المصنوع من عود الجوز فان احمد باي الاول لما احدث البيت الكبير العلوي بسراية باردو ووافق ذلك تمييزه برتبة المشير من لدن الباب العالي في سنة ١٢٥٦ اتخذ لنفسه كرسيا اميريا لجلوسه وزهد في كرسي عود الجوز المشار اليه ولم يدر كيف كان مصيره والغالب على الظن انه نفسه الكرسي الذي كان يجلس عليه الداي بديوان دار الشريعة المطهرة ولم ينقل التاريخ حصول تبديل بكرسي الملك الحسيني في عهد المشير الثاني محمد باي وكانت مدة ملكه قصيرة موسومة بالخصب في الزرع والضرع فلما ءالت نوبة الملك لاخيه المشير الثالث محمد الصادق باي جدد عمارة السرايات الملكية باجمعها فجعل كرسي بيت القبول الاكبر بباردو بشكل نصف دائرة منمق بالنقش والتذهيب ومغشى بالديباج يعرج له بدرج مغطاة بالموبر وحوله ستور حريرية ورسم براس الكرسي الطغراء الحسينية التي هي شعار النسب الملوكي موشحة بسلوك الذهب والفضة وجعل تحتها بالطرز العالي صورة نيشان آل البيت الحسيني وفوقها شعاره الملوكي الذاتي وهو عبارة عن طغراء اخرى شكلها بيضي تحفها غصون من شجر الزيتون وسنابل الحنطة كما في سكة الذهب والفضة كتب بقلبها (الله ـ محمد) وبطوقها (ما شاء الله كان وما لم

(١) واليه تنسب الجمعية الرشيدية التي شنفت نغماتها اسماع مدينة تونس في عهدنا الحاضر

يشأ لم يكن) مذيلة بتاريخ سنة ١٢٧٧ التي وقع فيها انجاز هذا النظام الجديد الذي تم ايجاده بعد رجوع الباي من سفره لاسلام على الامبراطور نابليون الثالث بعاصمة الجزائر وهو الذي اشار له شاعر تونس لعهده المفتي الشيخ محمود قابادو بقصيدته التي مطلعها :

ربيع مع جبينك قد اطلا ❁ على افق الجزائر فاستهلا

واما كرسي بيت البلور فانه وهذا البيت من محدثات الباشا محمود باى فقدكان يذيب سكة الذهب البندقي لتمويه سقوفه مما لم يزل اثره جليا لهذا اليوم رغم مرور قرن ونيف عليه نعم ان المشير محمد الصادق باي جدده بشكله الحاضر مع بقية كراسي الملك الموجودة بكل السرايات الملكية في سنة ١٢٧٧ واتخذ لنفسه لقب صاحب المملكة التونسية وكان المشير احمد باي يلقب نفسه بامير الايالة التونسية واسلافه يمضون مناشيرهم بلفظ باشا باي فحسب وعثر البحاثة هوكون على مكتوب لوالد هذا المشير مذيل بخط يده بقوله « مصطفى باي مير ميران تونس دار الجهاد » واعلم ان بيت البلور هذا هو الذي يقع به تنصيب سمو الباي يوم أيلولة الملك اليه في عصر الحماية وكان انتصابه عند الولاية في الدور القديم يقع ببيت الباشا عدا المشير محمد الصادق باي فان موكب جلوسه على العرش الحسيني اقيم بالبيت العلوي الكبير وفي اثنائه حلف اليمين القانونية بالامتثال لعهد الامان وبيت الباشا كان الامراء الحسينيون يرأسون المجلس الشرعي لفصل النوازل تحت انظارهم يوم الاحد من كل اسبوع ولم يكن هذا المجلس صوريا بل كانت تقع فيه المباحثات الفقهية بالاخذ والرد والباي يصغي لذلك بكمال الاهتمام ومن هذا القبيل نازلة الشيخ البحري قاضي تونس مع استاذه الشيخ ابراهيم الرياحي قدس سره وكرسي بيت الباشا جدده ايضا الباي محمد الصادق وبهذا البيت كانت خزانة الكتب المعتبرة التي احدثها الباشا علي بن محمد بمسجده اما كرسي سراية المملكة بالحاضرة فهو من محدثات المشير محمد الصادق باي احدثه في سنة ١١٧٧ عند تاثيثه لبيت المجلس الاكبر وكانت كراسي اعضاء هذا المجلس موشى عليها بارقام عديدة مرسومة بالعاج وقد تلاشت كلها او جلها ورايت منها في هذه السنوات بقية ببيت مدير اشغال البلد بالمجلس البلدي بتونس فنبهته وان لها قيمة تاريخية توجب عليه الاحتفاظ بها فابتسم وقال نعم . هذا وقد كانت كراسي اخرى لديار الملك التي عفت رسومها ككرسي سراية المرناقية في عهد الباي حسين بن محمود باي وكرسي سراية المحمدية في عهد المشير احمد باي وكرسي سراية حلق الوادي في دولة المشيرين الثلاث وكلها تناولتها يد التلاشي والضياع واما كرسي بيت البحر بحلق الوادي فقد التهمته النار في جملة الاثاث والرياش التي دمرها الحريق في سنة ١٣٠٠ ثم اعلم ان الكرسي الحسيني الرفيع العماد لم يبت منذ تاسيسه ليلة واحدة بحال شغور وقد اتفق انه عند وفاة المقدس المولى علي باي الثالث في خامس ربيع الانور ١٣٢٠ اشار بعض اهل النظر بتاخير موكب

تنصيب الباي الجديد لليوم التالي ريثما تقوم الدولة بترتيب حفلة التقليد وتنظيم اساليبها فلم يوافق الشيخ محمد العزيز بو عتور الوزير الاكبر لعهده على ذلك قائلا « ان كرسيهم لم يبت ليلة شاغراً منذ تاسيسه » وتمت عقدة بيعة المولى محمدالهادي باي في نفس اليوم الذي ختمت فيه انفاس والده المبرور وعلى ذلك القياس جرى العمل عند ايلولة كرسي الملك للمولى محمد الناصر باي ولابن عمه المولى محمد الحبيب باي ولحضرة صاحب السمو الملكي ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني بلغه الله الاماني ببركة السبع المثاني وهذه القاعدة الصحيحة لها اعتبار عظيم في الانظمة الحسينية تشهد بذلك حادثة وفاة المرحوم الباي حمودة باشا عند غروب موفى رمضان سنة ١٢٢٩ وولاية اخيه عثمان باي ليلة عيد الفطر فلما اصبح الصباح بايعوه البيعة العامة وهنوه بالعيد وبالولاية في ءان واحد

ونختم هذه النبذة المباركة بالتعريف بلفظ باردو الذي تكرر ورود ذكره فيها فان كلمة (باردو) محرفة عن لفظ (برادو) في اللغة الاسبانية ومعناه مرج والمرج في كتب اللغة هو الارض الفسيحة ذات النبات الكثير ويجمع على مروج ومنه كتاب مروج الذهب للمسعودي يؤيد هذا الفهم ان باردو وهو من محدثات بني حفص كان عبارة عن حدائق ورياضات متصلة بعضها تتخللها البساتين والمساكن الحفصية واتفق ظهوره واشتهاره بهذا الاسم ايام قدوم اهل الجالية الاولى الاندلسية حوالي المائة الثامنة وفي الخلاصة النقية ان السلطان محمد المنتصر الحفصي ادركه اجله بسانيته بباردو في سنة ٨٣٩ وفي عهد الاتراك سكنه امراء الدولة المرادية قال في المؤنس وفي سنة ١٠٩٢ كان الختان في برج باردُو لحفيد الباي (المرادي) وكانت تلك الايام تعد من الاعمار اه ولما آل امر الايالة التونسية لحكم البيت الحسيني اتخذوا منازل لهم بباردو ووسعوا في ابراجه والمسجد الجامع الموجود به من حسنات المولى حسين ابن علي طاب ثراه والمحكمة التي بقصر الملك من محدثات حفيده الباشا علي بن محمد كما سبقت الاشارة لذلك وممن زاد في فخامته وعمارته المشير احمد باي وبه اسس المشير الثاني محمد باي دار الحريم التي تحاكي في جمالها حمراء غرناطة وفيها انتصب المتحف العلوي سنة ١٣٠٥ وزيد في عمارته اثناء الدولة الصادقية من ذلك صرح على بابه اقيمت به منجانة زمنية على شكل منجانة بطحاء القصبة بتونس مسحتها يد الايام مع السوق الذي كان به والدور والدكاكين الكثيرة التي اقيم مقامها الحديقة الجميلة الموجودة هنالك لعهدنا الحاضر والخلاصة ان باردو كان عبارة عن بلد جامع بأهله نحو الثلاثة آلاف نفس به دار الامارة ودواوين الوزارة التونسية باجمعها وكان انتقالها لسراية المملكة بالحاضرة في منتصف ربيع الآخر سنة ١٣٠٠ وكان به قاض على المذهب المالكي وآخر من تولى هذه الخطة المفتي الشيخ عمر بن الشيخ المتوفى سنة ١٣٢٩ وكان لشيوخ البيت البارودي قدم السبق بين الفقهاء في ملازمة الامراء الحسينيين بباردو وهم اول من صاهروهم من بيوت العلم وشاركوهم بالانظار الفقهية اثناء الاجتماعات الشرعية الاسبوعية للنظر بحضرة الباي في مهمات النوازل والشئون وسبحان من امره بين الكاف والنون

محمد بن الخوجة



مظاهر العيد عندنا

اقبل العيد والمواسم عود   وعسى ان يكون بالعود احمد
فنرى شرد المنى طائعات   ونرى جانب النهوض مؤيد
كلنا يرغب الحياة ولكن   كان شمل الجهود منا مبدد
قدر الله في الخليقة جار   ذا حليف الهنا وذاك منكد
امة تبتغي مع الخلف فوزا   بمجال به الردى يتردد
امة حظها الحضيض واخرى   نصبت فوق هامة النجم مقعد

❁ ❁ ❁

ارجع الطرف للامور التي تجـ   ـري جواليك ايها العيد واشهد
تلف منها مهازلا تؤلم النفـ   ـس وتقذي طرف العلاء المسهد
معشر يرصد الهلال فان لا   ح شدا بابنة الدنان وعربد
مستخفا بدينه مستحلا   حرما رعيها عليه تأكد
باذلا رشده بحانة خما   ربها مظهر الشقاء مجدد
بين زق وطاسة وقيان   وشراك من البغاء ممدد
فاذا ما تقلصت شفتاه   وتثنى قوامه وتأود
وهمت مقلتاه بالدمع سكرا   وترامى على الثرى وتمدد
وغدا كيسه خليا واضحى   عرضه مظلم الصحيفة اسود
طرحته اليد التي اسكرته   بمهاوي النعال طرح المشرد

❁ ❁ ❁

وفريق يرميه من لعب الميـ ـسر سهم من الخسار مسدد
كلما جمعت يداه نضارا اتلف المسير النضار وبدد
فترى عيشه وعيش ذويه مجتلى البؤس بالفناء مهدد
يلسع الجوع زوجه وبنيه وهو لاه يهيم في شر مقصد
ان شكاه البنون جوعا وعريا ابرق الفظ بالسباب وارعد

❀ ❀ ❀

وفريق يختال في الخز والديـ ـباج من رحمة الفقير مجرد
يبذل المال في لباس رفيع وطعام على الرفوف منضد
واذا ما دعاه للبر داع قال دعني فان عيشي منكد
لست قارون ذا الكنوز لاعطي انما المال بالعطية ينفد
لمتى الشح ! والزكاة نماء وثواب ونعمة تتجدد
ان في المال والنفوس حقوقا ولحق الفقير بالرعي اوكد
ذلكم مظهر المواسم فينا وعسى ان تكون بالعود احمد

الطاهر القصار

المكتبات

عناية الامم الحية بها وتفريطنا فيها

بقلم الاديب البحاثة الشيخ محمد بن الشاذلي العنابي
المتوظف بالاوقاف

من بين المظاهر العامة الدالة على سموق الامة ونزوعها نحو الكمال ، وتسنمها معارج الحضارة عنايتها حكومة وشعبا بالمكتبات لانها الوسيلة الحقة لخدمة الثقافة العامة وترقية المستوى العلمي لافراد الشعب اذ لا يخفى ان اقوى ما تعتمد عليه الثقافة ليس هو المدرسة بل هو المطالعة المنظمة ، ذلك ان غاية ما تقوم به المدرسة هو تلقين المتعلم طرق الفهم والاستنباط وارشاده الى قواعد البحث وكيفية استغلالها وتربية ملكة النقد فيه . اما توسيع المدارك وكسب المعرفة فسبيله المطالعة المنظمة المسايرة

للقواعد الفنية المقررة لذلك . ومن ثم ادركت الحكومات الراقية مبلغ ما تقدمه المكتبات العامة من ضروب المساعدة على ترقية مدارك الامة بتغذيتها بافانين المعرفة .

وهذه الظاهرة كما نشاهدها اليوم في البلاد المتمدنة كذلك نلمس آثارها فيما تحدثنا به المصادر التاريخية الوثيقة عن ازهر العصور العلمية في الشرق والغرب فما من امة كتب لها السمو في الفن والرقي في العلم الا كان سبب ذلك راجعا الى ما امتاحته على طريق المكتبة من افاويق الحكمة والعرفان فهذا عهد البطالسة بالاسكندرية كان من ابرز مظاهره العلمية المكتبة المشهورة التي اتهم العرب باحراقها عند فتحهم البلاد المصرية[1] وهذا العهد الاموي كان من ابرز شخصياته العلمية خالد بن يزيد الاموي الذي يرجع اليه الفضل الاكبر في وضع الحجر الاساسي للمكتبة الاسلامية بما جمعه من نفائس الكتب[2] ومثله العهد العباسي الذي ظهرت فيه العناية بالمكتبة على ايدي المنصور والرشيد والمامون عناية بلغت بها الى الغاية ، وكذلك الحال بالاندلس فقد نشطت حركة تنظيم المكتبات باهم عواصمها على عهد عبد الرحمن الناصر والحكم الثاني[3] والحاجب المنصور ابن ابي عامر والمظفر بن الافطس صاحب بطليموس[4] ويوسف ابن تاشفين . ومثل هذه العناية التي ظهرت ببلاد الشرق كذلك ظهر مثلها ببلاد الغرب في عصور النهضة كعصر لويس الرابع عشر والكردينال ريشليو وغيرهما من انصار العلم .

وما تلك العناية الا اثر من آثار الاعتزاز بمجهودات الاسلاف وتقدير لنتاج قرائحهم الدائبة التي كانت تعمل لهداية الانسانية الحائرة من الشكوك والاوهام وقد اخذت هذه العناية تتضاعف ببلاد الغرب شيئا فشيئا من عهد ريشليو إلى يوم الناس هذا وظهر ذلك واضحا جليا بما تخصصه لها الحكومات من الاعتمادات الوافرة لتوسيع نطاق اعمالها التي تؤديها للمجتمع من تثقيف وتهذيب ولا ادل على نجاحها في تاديتها لرسالة الثقافة العامة من ان الحكومات الراقية وسعت في دائرة اعمالها

---

(١) فند هذه الخرافة الاستاذ الفراد بتلر في كتابه فتح العرب لمصر ٣٤٨ وسيديو في خلاصة تاريخ العرب ص ٨١

(٢) هو اول من ترجم الى العربية من اليونانية اهـ الفهرست لابن النديم ٢٤٢-٢٤٤ - واخبار الحكماء لابن القفطي ٢٨٦ لا المامون كما توهمه البعض نعم في عصر المامون نشطت حركة الترجمة

(٣) كانت خزائنه تشمل نحو ٤٠٠ الف مجلد

(٤) كان كثير الادب جم المعرفة محبا لاهل العلم جماعة للكتب ذا خزانة عظيمة لم يكن في تاريخه في ملوك الاندلس من يفوقه في ادب ومعرفة وله الكتاب العظيم المترجم بالتذكرة والمشتهر بالمظفري وضعه في خمسين مجلدا يشتمل على علم جم وادب وفر وكل فنون الادب من مغاز وسير ومثل وخبر توفي سنة ٤٦٠

وعمدت الى تجربة كان لها النصيب الاوفى من النجاح وتلك التجربة هي احداث مكاتب سيارة تجوب القرى والمداشر ناشرة بين اهلها الذين حرمتهم الحياة الريفية من التمتع بالدرس والمطالعة — ما يفيدهم ويرتبط بحياتهم تلك ارتباطا وثيقا . تلك هي الحالة في بلاد الغرب اما الحالة في البلاد الشرقية في القرن التاسع عشر فتختلف باختلاف الاقطار فمصر مثلا لم تظهر عنايتها بالمكتبة الا في عهد عزيزها محمد علي الذي اولاها عناية نسبية دلت على مبلغ تقديره لهذه الناحية في حياة الامة وترقيها . وقد سلكت المكتبة الخديوية سبيل النشوء والارتقاء حتى بلغت الى شأو تغبط عليه في عهد المغفور له فؤاد الاول وهي الآن تعتبر اكبر مكتبة في الشرق الاسلامي وقد عهد اخيرا بادارتها لفيلسوف الكنانة الدكتور منصور فهمي وقد وقفنا على ما قام به وما اعتزم عليه من مظاهر البعث والتجديد مما جعلنا موقنين بنتيجة اعماله الطيبة لما عرف عنه من الكفاءة التامة والاخلاص في العمل

اما غير مصر ومن بينها تونس فقد كانت الاضطرابات الداخلية تصرفها عن ذلك وتقعد بها عن مسايرة التطور العلمي الذي ظهر باروبا فاصيبت من جراء ذلك المكتبة الاسلامية بتلك البلاد بضربات نالت منها في الصميم فتبعثرت مكنوناتها وذهبت شذر مذر وتوعرت بذلك المسالك على الباحثين وحيل بينهم وبين ما يشتهون

ان الضربات التي اصيبت بها المكتبة في هذه البلاد من جراء الاحداث التي منيت بها فاستبدلت أمنها خوفا واطمئنانها فوضى لتجل عن الحصر ولا نبعد كثيرا فهذه الحملة التي وجهها الاسبان على هذه البلاد في القرن العاشر الهجري قد مزقت سنابك خيلها التآليف التونسية واتت على محررات الاجداد تلك المحررات التي دبجتها يراعة ابطال تلك النهضات العلمية التي قامت بالشمال الافريقي وكانت تضاهي ما قام بنيسابور ومرو وبغداد وقرطبة . وانك لو ناشدت كتب التاريخ عن ذلك التراث العلمي الحافل الذي طالما ذكرته كتب التراجم كاثر من آثار من ترجمهم لقصت عليك من انبائه عجبا ولرجعت حصر الصدر شرد الفكر تصاعد منك الزفرات تصاعدا تكاد تفارق معه الحياة (١) فهذا ابن الابار (٢)

---

(١) راجع ما كتب عن نكبات المكتبة الاسلامية في معجم البلدان لياقوت ج ٨ ص ٣٥ وذيول تذكرة الحفاظ ص ٢٤٥ وحاضر الاندلس وغابرها ص ٩٨-١٠٥

(٢) هو ابو عبد الله محمد بن عبد الله ابن ابي بكر ابن الابار البلنسي ورد على تونس موفدا من صاحب بلنسية زيان بن مردنيش لطلب المعونة من الخليفة ابي زكرياء الحفصي كان من مفاخر الاندلس له مشاركة في العلوم واختصاص في التاريخ ولما دخل على الخليفة الحفصي انشده قصيدته المشهورة :

* ادرك بخيلك ارض الله اندلسا * وكان ذلك سنة ٦٣٦

وقد اعجب ابن الابار بتونس واطمأن اليها فرجع لبلده واستصحب عائلته ثم عاد لتونس فاقام بها واحكم علائقه مع رجال البلاط حتى اتصل بالخليفة فاكرم وفادته وعرف له منزلته فاستدناه منه

الوافد علينا من الاندلس يحدثنا عنه الزركشي في كتابه تاريخ الدولتين(١) فقد ذكر انه ذهب هو وتآليفه التي بلغت خمسة واربعين كتابا في التاريخ والتراجم (٢) من بينها ما هو موضوع في تاريخ هذا القطر ورجاله . ذهب الجميع ضحية الحمق والسعاية فقتل بامر المستنصر الحفصي وكزا بالرماح واحرقت تآليفه بموضع قتله كل ذلك سعاية ماكرة قام بها ضده عصريه الغساني نحو مولاه جنى بها على صاحبه بالجنب وارتكب نحو العلم جريمة لا يغفرها له العلم واهله وكأن ابن الابار قد نظر الى ما سيئول اليه حاله - والمؤمن ينظر بنور الله - فجاشت نفسه بقوله :

اذا ما رايت الرسوم انمحت ❁ ولم يرع حق لذي منصب
فخذ في التحول عن تونس ❁ وأترك معالمها واهرب

ولكن نفذ القضاء في ابن الابار وتآليفه نفاذاً لا يجدى معه التأوه والتحسر

ومن القضايا التي حفظها لنا التاريخ وتعتبر اصدق صورة لتلك الضربات التي اصيبت بها المكتبة التونسية وبها يمكن الاستدلال على مبلغ ما وصلت اليه هذه الامة من دركات الانحطاط والجهل ما يحدثنا به صاحب المشرع الملكي - على عاميته - عن بعض معاصريه انه بعد ما اصيب بما كان معهودا في ذلك العصر من هدر الدم وهتك العرض واستباحة المال دخل بعض الخدمة لمكتبته فاستباحها وحمل ما وقع عليه بصره من الكتب لداره وهل تدري ما صنع بها ذلك الغبي الغمر هل تظن انه انتفع بها او نفع كلا . . . بل باعها المسكين لبعض الباعة وهذا بدوره استعملها في لف بضاعته ! ! ؟

انها لحالة تحمل الاغيار على ان يبعثوا من ورائها ابتسامات السخرية والاستهزاء حقا انها لحالة

وعرف ابن الابار كيف يكتسب عطف الخليفة ورجال الدولة حتى انتظم في سلك ديوان الانشاء ولما توفي ابو عبد الله بن الجلاء اولاه الخليفة في خطته وهي صاحب العلامة وهي تشبه خطة صاحب الطابع اليوم فشغلها مدة يسيرة ثم اخر عنها لما ظهر عليه من الحمق واستنقاص بعض ذوي المكانة والاقدام على توقيع ما هو خارج عن دائرة عمله ثم اسندت خطته الى احمد بن ابراهيم الغساني فنشات بين الرجلين حزازات ونجح الغساني في تاثيراته على الخليفة اذ ذاك محمد ابن ابي زكرياء فاوغر صدره عليه حتى حبسه وامر بضربه بالسياط بمقصورة المحتسب ثم قتل وندم الخليفة على فعلته النكراء ولات ساعة مندم

(١) ٢٠-٢١-٢٧

(٢) لم يبق من تآليفه فيما نعلم سوى تكملة الصلة لابن بشكوال والحلة السيراء وفهرسته وقطعة من تحفة القادم وقد قام بطبع الاول الاستاذ ابن ابي الشنب وطبع الثاني ضمن المجموعة التي طبعها العلامة كوديرا الاسباني في ثمانية اجزاء بمدريد بين سنتي ١٨٨٣ و١٨٩٢ تحت اسم المكتبة العربية الاسبانية . اما الثالث والرابع فيوجد ان في مكتبة دير الاسكوريال

تدعو الواقف الى ان يندب رسوم المعارف والفنون ويجود بدمعة مهراقة على تلك العصور التي انتابت البلاد فاقحلت وصوح نبتها فاصبح هشيما تذروه الرياح ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار .

وهنا لا يجمل بنا أن نغفل ذكر ما لعبت به الايدي الاثيمة في الخزائن العامة كخزانة جامع الزيتونة وجامع القيروان وبقية المكتبات التي كان لا يخلو منها جامع او مدرسة كجامع حمودة باشا (١) وجامع صاحب الطابع وغيرهما فقد فقد من هذه المكتبات ما استاثرت ببعضه المكتبات الخاصة وتلقفت بعضه الآخر خزائن الغرب بطريق بعض الخونة – مثل سليمان الحرايري – (٢) اولئك الذين باعوا ذمتهم وضمائرهم وما تركه لهم اجدادهم من التاليف بدراهم معدودة وكانوا فيها من الزاهدين

فنحن نرى كيف تظافرت العوامل على تشتيت تلك الاعلاق النفيسة واتلافها ويظهر ان اهم هاتيك العوامل هو التفريط والاهمال يتبع محمد العنابي

---

(١) كانت توجد به نسخة من صحيح البخاري هي آية في جمال الخط وبداعة الفن ولما نقلت الى مكتبة العبدلية فقد منها احد اجزائها وقد عثر عليه ذات يوم بيد الدلال بسوق الكتبية فاعلم بذلك القاضي العادل الشيخ الطاهر النيفر فاحضر الدلال واستعلمه عنه فاخبره بان فلانا ... احد ابناء الحاضرة قد كلفه ببيعه فما كان من الشيخ الا ان دفع للدلال المبلغ الذي انتهى اليه وامر بالحاقه بالمكتبة العبدلية .

(٢) اصله من عائلة فارسية قديمة نزحت من بلاد العجم الى تونس وهو ابو الربيع عبده سليمان بن علي الحرايري الحسني ولد بتونس سنة ١٨٢٤ قرأ العلوم الدينية اولا على علماء وطنه ثم اكب على درس الطب والطبيعيات والرياضيات واللغة الفرنسية حتى حذقها وفي ١٨٤٠ اولاه الباي رئاسة ديوان الانشاء وبعد ست سنين من ذلك العهد رحل الى باريس فانتدبته حكومتها للتدريس بمدرسة الالسن الشرقية واثناء اقامته بها تولى رئاسة تحرير جريدة (برجيس باريس) التي انشاها الشيخ رشيد الدحداح فنشر بها قسما من سيرة عنترة وقلائد العقيان ثم طبعهما على حدة وترجم كتبا غير ذلك كرسالة في الظواهر الجوية طبعها سنة ١٨٦٢ اودعها خلاصة هذا الفن وكان وضعها دليلا على سعة اللسان العربي وكفايته للمعارف العصرية ونهج المعربون بعد ذلك منهجه لا سيما المرسلون الاميريكان والف سنة ١٨٦٧ كتاب عرض البضايع العام في وصف معرض باريس وله القول المحقق في تحريم البن المحرق وترجم كتاب لومون في الاصول النحوية ونشر مقامات الشيخ احمد بن محمد الشهير بابن المعظم احد ادباء القرن الثالث عشر مسيحي وتوفي الحرايري وله من العمر نحو الخمسين عاما ويقال انه ارتد والعياذ بالله اه ملخصا من تاريخ آداب العربية لزيدان ج ٢ ص ٣٦ ، والصحافة العربية ج ١ ص ١١٩ وتاريخ الآداب العربية لشيخوج ١ ص ٩٨

العالم الاسلامي

المسلمون في فينلاندا

بقلم الاستاذ عثمان الكعاك
المدرس بالمدرسة العليا للاداب

١ - البلاد الفينلاندية قطر من اقطار اوروبا الشمالية يحده شرقا الروسيا وغربا البحر البلطي (البلطيق) والسويد والنرويج وجنوبا خليج فينلاندا وشمالا البحر المنجمد الشمالي . تبلغ مساحتها ٣٨٨،٤٨٣ ميلا مربعا - اي ثلاثة اضعاف مساحة القطر التونسي - وبها من السكان اربعة ملايين .

هذه البلاد عبارة عن مائدة من حجر الجرانيت واسعة النطاق مترامية الاطراف قد خرمتها الثالج الكبرى وهي قليلة الارتفاع اذا استثنينا حدودها من جهة النرويج في الغرب فان تشعبات جبال الالب الاسكندينافية تبلغ هنالك ارتفاعا يتراوح بين ٧١٥ م. و ١١٢٠ م.

ومن المفروغ منه ان قربها من القطب الشمالي قد جعلها بلادا شديدة البرد طويلة الشتاء كثيرة الثلوج حتى ان معدل البرودة يبلغ عشرة تحت الصفر في الشتاء و ١٥ فوقه في المصيف . ومع ذلك فان اقليمها من اصفى اقاليم العالم واجملها واصلحها لسلامة الابدان . تمتد سباسب الثلوج الى ما لا نهاية له تتخللها غابات الصنوبر والبحيرات الكبيرة اللهوعة السطح البديعة التقطيع .

يسكن هذا القطر شعب مغولي الاصل فطري الحضارة قد هاجر من اواسط اسيا الى اوروبا في القرن الثالث الهجري (٨ م.) كان يعيش قديما من صيد البر والبحر . ثم تحول من عهد المدنية الحجرية الى عصر المعادن وتدجين الحيوانات : وقد بقي على حالة بداوته الى القرن السادس الهجري (١٢ م.) . اما اليوم فقد دخلته الحضارة الاروباوية فاهل المدن يعيشون عيشة سائر الاروباويين واما اهل الارياف فيعيشون في ديار صغيرة مبنية من الخشب صغيرة النوافذ او في خيام مخروطة الشكل مؤلفة من اغصان الشجر وخز الارض . هؤلاء الاقوام منقسمون الى شعبتين جنسيتين الاولى شعبة « التافاستس » الضاربة بغرب البلاد قصيرة القامة بيضاء اللون شقراء الشعر قصيرة الرأس مفلطحة الوجه واسعة الفم قليلة الاهتمام بالشعر والالحان. واما الشعبة الثانية فهي فرقة الكارليين سمراء اللون

قسطلية الشعر طويلة الانف متوسطة الفم معتدلة القامة محبة للالحان والاشعار فهي كثيرة الزجالين . هذا الشعب قد تفرق في بلاد فينلاندا على نسب مختلفة لا يزيد معدلها عن تسعة سكان في الميل المربع فمعظمها مكتض بالسواحل بحيث ان نسبة السكان في الجنوب تبلغ ٣٩ في الميل المربع بينما هي لا تتجاوز اثنين في الشمال .

اما الحكومة فهي عبارة عن جمهورية ومجلس امة يقع انتخابه بالاقتراع العام من الرجال والنساء.

والبلاد منقسمة الى تسع مقاطعات عاصمتهـا مدينة هلسنكفورس او هلسنكي وهي مدينة واقعة على خليج فينلاندا بها من السكان ٢٠٧،٩٥٠ نسمة وبها جامعة ومتاجر الخشب والمعـادن واما المدن الاخرى فاهمها : تركو وتامرفورس وفيبورغ

❁ ❁ ❁

في الكراس الاول والسنة ١٩٣٤ من مجلة المباحث الاسلامية التي يصدرها الاستاذ ماسينون بمدينة باريس مبحث دقيق عن احوال المسلمين بفينلاندا قد دبجه يراع السيد بشر فارس فراينا ان ننقله الى قراء هذه المجلة الغراء ليعلم المسلمون احوال بعضهم بعضا في مشارق الارض ومغاربهم وجنوبها وشمالها . واليك نص التعريب :

في تاريخ ٢٤ افريل ١٩٢٥ اعترفت حكومة فينلاندا رسميا بالديانة الاسلامية بمقتضى قرار اصدرته لفائدة المسلمين القاطنين بتلك الديار . اصل هؤلاء المسلمين من الاتراك التاتار الذين هاجروا الى الشمال على اثر الانقلاب البلشفي بالروسيا واستقروا بفينلانـدا . على ان البعض منهم يعرفون الديار الفينلاندية جيداً بموجب ترويج سلعهم هنالك قبل الانقلاب الروسي بعهد طويـل . هؤلاء المسلمون لا يتجاوز عددهم ٦٤٨ شخصا اي ما ينوف عن مائة عائلة بيسير وهم متفرقون بين ١٧ مدينة ولو ان معظمهم بهلسنكي العاصمة وتامرفورس وتركو . تتعاطى الجالية الاسلامية تجـارة الفراء والانسجة حتى ان الكثير منها مياسير وقد اشتهرت بمسالمتها ونشاطها في العمل واقبالها على شؤونها باجتهاد .

تحول هؤلاء القوم من الزعاية الروسية الى الوطنية الفينلاندية . ولما كانت قوانين فينلاندا قد قررت حرية الضمائر والاديان فان المسلمين متمتعون بكامـل الحقوق المخولة لكل فينلاندي مهمـا يكن جنسه او معتقده . فالمسلم يستطيع ان يشغل اي وظيف من الوظائـف الدولية على ان هـؤلاء المسلمين غير خاضعين لجميع احكام القانون المدني الفينلاندي فمسائل الانكحة بيد الامـام الذي يتولى ايضا تقييد المواليد والوفيـات ولا يعرف بها الدولـة الا على راس السنـة في صـورة

احصائيـة رسمية . وفوق ذلك فهـم من الناحيـة الاجتماعيـة اوسع استقـلالا . فلا يتزوجون الا من بينهم وعلى مقتضى الشريعة الاسلاميـة . وقـد نقـل لي ان بعض المسلمين يتزوجون النصرانيات ولكن هؤلاء سرعان ما يعتنقن الديانة الاسلامية واذا لم يعتنقن فان الخـلاف يشجر فيما يتعلق بحالة الولد من حيث المعتقد لكن هذا الخلاف عجلان ما ينحسم فيرسم الامام المولود الجديد بدفتر الجالية الاسلامية ويقضي الامر بسلام . يعتنى المسلمون الفينلانديون عناية خاصة بتربية اولادهم تربية اسلامية صحيحة ووطنية ثابتة . وقد انشأوا مدارس لهذه الغاية يذهب اليها الاطفال ثلاث مرات في الاسبوع فيتعلمون بها اصول الدين الاسلامي وتاريخ الاسلام والامـة التركية ويحفظون القرآن باللغة العربية . اما لغة التعليم فهي اللسان التركي ولا يتعلم الاطفال من العربية الا الحروف والتجويد لكن هذه المدارس قليلة العدد واهمها مدرستا هلسنكي وتامرفورس اللتان تشتغلان التسعة الاشهر الدراسية اما بقية المدارس الموجـودة في الجهات التي بها اقلية اسلامية ضئيلة فانها تفتح بالتناوب ثلاثة اشهر في السنة ويتحول فيها الاساتذة من مدرسة الى اخرى . على ان المسلمين لا يكتفـون بالمدارس فحسب بل يـنظمون المسامرات المختلفة المواضيع فتارة تكون في المواضيع الدينية وتـارة في المسالة القومية التركية واخرى في التاريخ التركي الاسلامي . يقوم بهذه المسامرات اساتذة المدارس او بعض المسلمين الزائرين - وخاصة الاتراك - اما الطباعة فهي ناشطة ومن ذلك ان السيد ابراهيم عـارف الله الكاتب العام للجمعية الاسلامية الفينلاندية قد الف رسالة في الدعاية الوطنية »

. . . ثم قال :

« لا يوجد جامع كبير بفينلاندا ولكن هنالك ثلاثة مساجد احدها بهلسنكي والاخر بتامرفورس والثالث بتركو وهنالك حيث لا توجد مساجد يجتمع المسلمون رجالا ونساء ببعض المنازل لاداء صلاة الجمعة . اما النسوة فلا يـذهبن غالبا الى المساجد الا لتادية صلاة العيدين . ولا يوجد الا امام واحـد (وهو السيد والي احمد حكيم) يعيش على نفقة الجالية الاسلامية ويقيم بهلسنكي لكنه ينتقل بانتظام من بلد الى بلد . واذا غاب الامام تقدم للصلاة من حضر من المسلمين وكان افـقههم في الدين . واذا جاء المولد الشريف تلا المسلمون آي الذكر الكريم باصلها العربي وقام الامام خطيبا فالقى خطابا باللغة التركية بحسب ما تقتضيه الظروف وادب المياسر المآدب اكراما لصاحب الرسالة (صلى الله عليه وسلم)

ان مسلمي فينلاندا لا يتنـاولون الكحول في عمومهم بـالرغم عن شدة البرد ولا يقدمون المسكرات في اية حفلة من حفلاتهم الدينية او الوطنيـة . وقد اثبتوا لي انه لم يقع ايقـاف ولو مسلم واحد بتهمة سكر منذ عشرين سنة . والبعض من سكان فينلانـدا لا يصومون شهر رمضان اذا كان

في طوال ايام المصيف ولكنهم يرجؤونه الى شهر آخر من شهور السنة(١) وذلك انه في شهري يونية ويولية من السنة حينما يكون النهار طويلا جدا يعتقدون ان صوم رمضان في ذلك العهد غير اضطراري وانما على الانسان ان يقضي ذلك الشهر في غيره من شهور السنة بدون كفارة . اما الحج فقد حج مسلم واحد .

تتمتع المراة المسلمة بنفس الحرية التي تتمتع بها اختها الفينلاندية او تكاد . ولا يمكن للفتاة المسلمة ان تتزوج قبل السنة السابعة عشرة واما الاملاك فهو على نمط الاملاك عند الفينلانديين ولكني اجهل هل ان المسلمات قد بلغن اوج التطور المتناهي الذي بلغته الفينلانديات » اه بشر فارس

❁ ❁ ❁

وقد انشا المسلمون الفينلاديون جمعية دينية تحت اسم « الجامعة الاسلامية الفينلاندية » وقد حرروا بالاجماع بيان القواعد الاساسية التي ترتكز عليها الديانة الاسلامية وبينوا احكامها كما يلي :

ا ـ واجبات كل مسلم ومسلمة :

١ ـ الديانة بالعقيدة الاسلامية

٢ ـ اقامة الصلاة خمس مرات في اليوم والاجتماع لصلاة الجمعة جماعة بالمسجد

٣ ـ الصيام « شهرا » في السنة

٤ ـ ايتاء الزكاة لمن استطاع الى ذلك سبيلا

٥ ـ الحج على من استطاع الى ذلك سبيلا

٦ ـ التعهد باحترام جميع الاحكام المقدسة والخضوع لها

٧ ـ الالتزام بتطهير الباطن والظاهر والروح والجسد

٨ ـ الاستقامة والعفاف

٩ ـ احترام كل البشر وعدم اذاية اي شخص

١٠ ـ ان يحب لاخيه ما يحبه لنفسه ويكره لاخيه ما يكرهه لنفسه »

هذه هي احوال المسلمين بفينلاندا . وفي العدد المقبل نتحدث عن قانونهم الاساسي واحوالهم الادبية ـ ان شاء الله تعلى ـ (٢) عثمان الكعاك

---

(١) نلاحظ هنا ان نهار الصيف في القطب الشمالي يكاد يتصل بدون انقطاع من غير ظلمة حالكة بحيث ان الليل اعتباري لا غير

(٢) في عدد مقبل : المسلمون في بولونيا وورومانا وبلغاريا من بلاد اوروبا

الحركة العلمية والادبية

مشكلة المرأة التونسية من حيث التربية و التعليم و اراء المفكرين فيها

تجدد في الفكر العام التونسي هذه الايام الاشتغال بالمرأة التونسية والسعي للنهوض بها من جميع نواحيها . والبحث عن احسن الطرق الموصلة لذلك . فكان ذلك باعثا لجمعية قدماء الصادقية على اقامة منبر عام تعرض عليه آراء مختلفة في هذا الموضوع ليختار الاصلح منها . فطلبت من رئيس تحرير هذه المجلة الشيخ محمد المختار بن محمود ان يقوم بالقاء مسامرة تكون كتقرير عام يقام عليه اصل البحث في هذه القضية . واختارت افرادا من نبغاء المفكرين ليدلوا بآرائهم اثر تلك المسامرة .

وفي يوم الاربعاء ٢٤ رمضان المنصرم وقع اجتماع عظيم للغرض المذكور بقاعة الاجتماعات الفرنسوية حضره اعيان الامة واصحاب الرأي فيها من علماء وادباء ومختلف الطبقات

وفتحت الجلسة على الساعة التاسعة الا ربعا بالقاء خطاب وجيز من حضرة رئيس قدماء الصادقية السيد محمد علي العنابي . تعرض فيه لبيان الغرض من الاجتماع ولبرنامج ما سيقع فيه .

وبعد ذلك القى الشيخ ابن محمود مسامرته فكانت درسا وافيا لموضوع المرأة . من جميع ما يتعلق بها . فبسط نظرية الاسلام في معاملتها وترقية مستواها . وتقرير ما لها وما عليها من الحقوق التي منحها لها الاسلام من منذ اربعة عشر قرنا مما تفوق به المراة الغربية حتى في هذا الزمان . مستدلا في كل ما قاله بادلة من القرآن والحديث واقوال العلماء . ثم تعرض لحالة المراة التونسية في عصرها الحاضر ثم قدم برنامجا عمليا في كيفية النهوض بها في جميع اطوار حياتها بما يتناسب مع ما جاء به الاسلام . وتوجيه اصول التربية الدينية والاخلاقية مع الاقتصار في تعليمها على اللغة العربية لانه لا ضرورة تدعوها لتعلم غيرها .

وبعد انتهائه توالى على منبر الخطابة السادة الفضلاء : الشاذلي النيفر المدرس بجامع الزيتونة . محمود بيرم المصري صاحب جريدة (الشباب) . محمد المهدي بن الناصر الوكيل لدى المحاكم التونسية . احمد بن ميلاد الطبيب . الطاهر صفر المحامي . محمود المسعدي المدرس بمدرسة الليسي كارنو عبد الوهاب باكير المدرس بالمدرسة العلوية

فادلى كل واحد برأيه وكانت آراء الخمسة الاولين متقاربة . في مجموعها مع ما قرره المسامر الاصلي واما الخطيبان الاخيران فقد كان رايهما لا يخلو من تطرف وسير مع الخيال منشؤه حدوث عهدهما بالحياة الاجتماعية العامة وكونهما في بداية طور التجربة . وفي اعتقادنا انهما بعد ان يبلوا حلو الحياة ومرها . وبعد معاناة اطوار التجربة وقطع مراحلها يكون رايهما متقاربا مع راي من سبقهما في ذلك الميدان . اذ فرق بين من يتكلم بعد تجربة وطول اختبار . وبين من يتكلم وهو سابح في بحور الخيال التي لا ساحل لها . وقد كان من رايهما ان المراة يجب ان تعطى لها حرية مطلقة في سيرتها واعمالها وتعلمها وعدم اعتبارها مختصة بشؤون البيت ومقصورة عليها . الى غير ذلك من الاراء التي تضرب على هاته النغمة

وعلى كل حال فانهما قد قالا ما يعتقدانه صوابا . وعلى الناس ان يعملوا بما يرونه صالحا موافقا

لدين البلاد وعوائدها وآدابها وذلك لا يتحقق الا بتنفيذ الاقتراح الذي قدمه المسامر الاصلي في ءاخر مسامرته من وجوب عقد اجتماع عام لاخراج هذا الموضوع من الناحية الفكرية الضيقة . الى الناحية العملية الواسعة النطاق . وفي ذلك الاجتماع وعند تحاكك الانظار يعلم اي الرأيين اقرب للصواب . واصلح بهذه البلاد . فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض .

في دار الشريعة المطهرة

بناء على احالة جناب العلامة النحرير صاحب الفضيلة الشيخ سيدي حسين بن الخوجه المفتي الحنفي على الراحة نظرا لكبر سنه ولمرضه فقد اسند ملكنا المعظم ابقاه الله خطة الافتاء المنحلة عنه لاخيه جناب العلامة النحرير الشيخ سيدي علي بن الخوجه المدرس الحنفي من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة عمره الله . ووقعت ولايته بدار الملك في حمام الانف يوم الخميس في ٣ رمضان وفي ١٩ نوفمبر المنصرمين . واثرها وقع تنصيبه بالمحكمة الشرعية حيث ذهب اليها يصاحبه جناب شيخ المدينة طبق العادة المألوفة بتونس من الاعتناء العظيم بالخطط الشرعية وتنويه الملوك العظام بشانها .

وهذان الاخوان ابقاهما الله هما فرعان من الشجرة الخوجية التي رسا اصلها في الثرى ونما فرعها الى السماء . واقيمت دعائمها على تقوى ورضوان من الله . يتوارث افرادها العلم خلفا عن سلف من منذ زمن طويل . وذلك هو سبب مجدهم وارتفاع شانهم في بلادنا .

ولد جناب المفتي الجديد في جمادى الثانية سنة ١٢٩٨ وتربى في كنف والده شيخ الاسلام سيدي احمد بن الخوجه . الذي ملأ ذكره الاسماع . في جميع البقاع . وتاهت به هذه البلاد فخرا . وجرت ذيولها كبرا . رحمه الله . ونشأ نشأة علمية دينية. فحفظ القرآن في صغره . ثم زاول الدروس بالمدرسة الصادقية . ثم انتظم في سلك تلامذة جامع الزيتونة المعمور . واحرز على شهادة التطويع في عام١٩٠٣

وزاول الدروس على اعيان علماء العصر . منهم اخواه المفتيان الشيخ سيدي محمد والشيخ سيدي مصطفى . ومنهم عمه شيخ الاسلام سيدي محمود بن الخوجه . ومنهم الشيخ سيدي محمد النجار المفتي المالكي والشيخ سيدي مصطفى رضوان وابنه الشيخ سيدي محمد رضوان المفتي الحنفي . والشيخ سيدي محمد القصار المفتي المالكي والشيخ سيدي محمود بن محمود المفتي الحنفي . والشيخ محمد ابن القاضي القاضي الحنفي . وهؤلاء كلهم قد لحقوا بالدار الآخرة رحمة الله عليهم .

ومن مشائخه من الاحياء . العلامة المحقق الجليل الشيخ سيدي محمد بن يوسف شيخ الاسلام والشيخ سيدي احمد بن مراد . والشيخ سيدي حسين بن الخوجه .

وظائفه

تولى التدريس الحنفي من الرتبة الثانية في عام ١٣٢٦ واثرها باشر خطة كاتب النوازل بالدائرة الحنفية بالديوان المعمور . وباشر التدريس بالمدرسة الصادقية في عام ١٣٣٣

وتولى عضوا نائبا بالمجلس المختلط في عام ١٣٥٢ . وفي العام المذكور تولى خطة التدريس الحنفي من الرتبة الاولى بجامع الزيتونة

ثم اسندت اليه خطة الافتاء في هذه الايام . جعلها الله خطة مباركة عليه ويسر له اسباب القيام بها على احسن وجه . والمجلة تعيدله تهنيتها . وتتمنى له حياة سعيدة بالعمل والانتاج ، مشمولة برضا الله ورسوله

المرجو من القراء اصلاح الاخطاء الاتية

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٦١	٩	يعد	لا يعد
١٧٠	١١	لقاعدة	القاعدة
١٧٠	٢٠	اليسبيح	التسبيح
١٧٠	٢٠	المعجرة	المعجزة
١٧١	١٣	انقوا	اتقوا
١٧٣	٢٥	مجذب	منجذب
١٧٥	٢٤	هوك	هواك
١٧٦	٣	دياكم	دنياكم
١٧٧	١٤	ولذا	ولهذا قد
١٧٧	١٥	الضلام	الظلام
١٧٧	١٦	مستبان	مستبانا
١٧٩	٣	جنسكم	انفسكم
١٧٩	٢١	باحسن	فاحسن
١٨١	١	أختار	اختار
١٨٤	٣	للمغرض	للمقرض
١٨٨	٨	اكتب	اكبت
١٨٩	٢١	ولا تسبوا	لا تسبوا
١٩٠	٤	الي	الى
١٩٠	١٨	مبادي	مباد
١٩٠	٢٥	الي	الى
١٩٣	٧	ينهي	ينهى
١٩٣	٩	ترمى	ترمي
١٩٤	١٧	فناء	لفناء
١٩٦	٧	اما	امام

تباع المجلة في الاماكن التالية

اماكن بيع المجلة بالحاضرة

المكتبة العلمية سوق الكتبية رقم ١٢

مكتبة الاستقامة نهج سيدي ابن عروس رقم ٣٤

المكتبة العتيقة سوق الصوف رقم ١٣

مكتبة الامان سوق السرايرية رقم ٢٢

المكتبة الزيتونية سوق السرايرية

مكتبة الرجاء سوق الكتبية رقم ٢

المكتبة العربية الكبرى سوق السرايرية

مكتبة السعادة نهج الكتبية رقم ٤

دكان السيد محمد بن عمر جوار ادارة الاوقاف رقم ٧٢

البشير وبلقاسم بن عمارة سوق السرايرية رقم ٣٠

اسماء متعهدي بيع المجلة في بلدان المملكة

السيد الحبيب الذوادي ببنزرت بنهج احمد باي

« احمد المرابط متعهد بيع المجلات ببنزرت

« عمر بن يدر بفريفيل

« علي المزي بماطر

« احمد بن الحاج عبد الرحمن العجالي بقلیبیه

« عبد القادر قربوج بنابل

« حمودة الذكواني بمنزل جميل

السيد حمدان الشريف بسوسه

« محمد الصالح البكوش بباجه

« محمد العربي بالمكنين

« محمد زهرة بالمنستير

« ابوبكر بن محمد الصانع بقصر هلال

« الصادق بولايان بالقيروان

« سعد بن بلقاسم الصحراوي بسبيطلة

« علي بسباس بسوق الجمعة رقم ١٢ بصفاقس

« قدري قعيب بقفصه

« المكتبة الاسلامية بتوزر

« عمر اسكندر بنفطة

« شرف الدين الدقاشي بدقاش

« محمد بن علي امنجه بقابس

« حمزة شورو بميدون جربه

اسماء متعهدي بيع المجلة بالقطر الجزائري

السيد محمود نسيم بشارع لالير رقم ٤٢ بالجزاير

« محمود باش طبجي بساحة شارتر بالجزائر

مكتبة النجاح بقسنطينة

« قندوز بنهج جنجراس بسطيف

« الاخضر بن مبارك ببسكرة

« بن داود بساحة دي قرقولات بعنابة

« محمد الهادي جلال بتبسه

مكتبة السيد مصطفى باغلي بنهج سكاك ٤٢ بتلمسان